ISSN 2394 - 6628

May - June 2016

مجلّة التلميذ

مجلة عربية أدبية شهرية

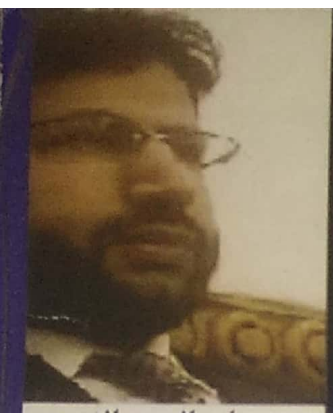

د. معراج الدين الندوي

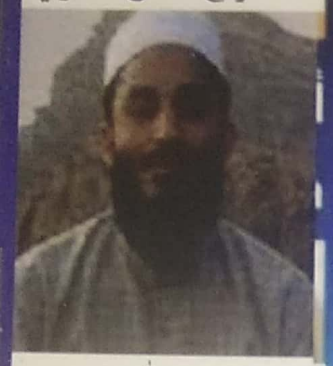

د. عنايت الله الندوي

د. محمد إرشاد الحق

د. أبو معاذ

د. نور

رئيس التحرير

الدكتور معراج الدين الندوي

درس من التنزيل .....

قراءة فى كتاب "خصائص التصور الإسلامي و مقوماته" لسيد قطب .....

دراسة فنية لقصص القرآن .....

مدارس جامو وكشمير الإسلامية و خدمات علمائها في تطوير اللغة العربية و آدابها .....

الأنواع القريبة من السيرة الذاتية .....

النقد عند مصطفي صادق الرافعى .....

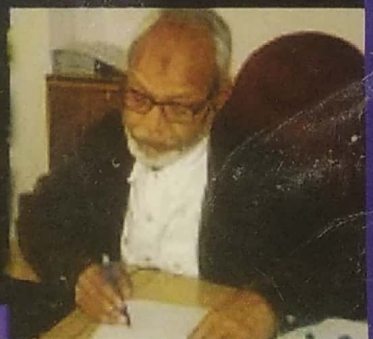

البروفيسور محمد صلاح الدين

تصدر عن مركز الثقافة الندوية بانته جوك سرينجر كشمير

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

مجلة التلميذ
مجلة عربية شهرية
تصدر عن مركز الثقافة الندوية
بانته جوك سرينجر كشمير

الرئيس العام
البرفيسور محمد صلاح الدين العمري

الدكتور ريحان أختر القاسمي
مديرة التحرير
الدكتورة نورأفشاں الصالحاتي

رئيس التحرير
الدكتور معراج الدين الندوي

الدكتور محمدإرشادالحق
و
الدكتور رياض أحمد شيخ الندوي
و
الدكتورعنايت الله واني الندوي

هيئة التحرير

البروفيسوركفيل أحمدالقاسمي	عميد كلية الاداب بجامعة عليكرة الإسلامية ،الهند
البروفيسور مسعود أنور علوي	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية، الهند
البروفيسور عبدالرحمن واني	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كشمير سرينجر .
البروفيسور شاد حسين	قسم اللغة العربية جامعة كشمير
البروفيسور بيرزاده بشيرأحمد	قسم اللغة العربية بجامعة كشمير
البرفيسور مظفر حسين الندوي	قسم اللغة العربية بالكلية أمرسينغ الحكومية سرينجر
البروفيسور عبد الرحمن وار	بقسم اللغة العربية بكلية أمرسينج الحكومية، كشمير
الدكتور محمد يوسف خان	الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية، عليكرة
الدكتورة تسنيم كوثر	الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية بجامعة عليكرة الإسلامية.
البروفيسورمحمد أيوب	رئيس قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية نيو دلهي، الهند
د.قاضي عبدالرشيد الندوي	الباحث و الأكاديمي بدولة قطر
الدكتور شمس كمال أنجم	رئيس قسم اللغة العربية بجامعة باباغلام شاه بادشاه راجوري كشمير
د. فاروق أحمدمير التاسمي	الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بجامعة كشمير
عرفاني رحيم	رئيسة قسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، كشمير
الدكتور معراج أحمد	الأستاذ المساعد بالجامعة العالية كلكتا
د.محمد ريحان خان الندوي	جامعة جواهرلال نهرو دلهي

مجلة التلميذ
مجلة عربية أدبية شهرية
تصدر عن مركزالثقافة الندوية،بانته جوك بسرينجر كشمير
NADAVIC CULTURAL CENTER PANTHA CHOWK SRINAGAR. KASHMIR 191101

Scanned with CamScanner

"الرحلات" للدكتور شوقي ضيف

(دراسة تحليلية)

بشارت أحمد شاهين[28]

E-mail: shaheenziae@gmail.com

الملخص:

يعد أدب الرحلة من أهم فنون الأدب العربي. يصور فيه الراحلون ما شاهدوه بعيونهم الفاحصة الباحثة في رحلاتهم. وهو صورة بسيطة تصور أحوال الناس والعمران. وهو أيضاً صورة جغرافية لما شاهده الراحل بالعين الباصرة بحرا وبرا. دون الراحلون أحوالهم ووضعوها في كتبهم لتفاوت مستواها نظرا إلى المواد المسجلة فيها. ومن أهم الأسباب في تدوين هذه الرحلات هو حاجة الدولة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تصل أقاليمها. ومعرفة سكانها وما فيها من عجائب وغرائب. وكيف كان دينهم وحضارتهم وثقافتهم وسياستهم. وهي الوسيلة المباشرة إلى معرفة هذه الأحوال والأوضاع كلها.

أما هذا البحث فيدور حول الكتاب " الرحلات " للدكتور شوقي ضيف. قسمه الدكتور شوقي ضيف على خمسة فصول سألخص سائرها في هذا البحث الوجيز. في الفصل الأول يعرض الكتاب "المسالك والممالك" لابن حوقل، و"أحسن التفاسير في معرفة الأقاليم" للمقدسي. و"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي. و"آثار البلاد وأخبار العباد"للقزويني، ثم يعرض عالم البحر ورحلة التاجر السليمان. و"عجائب الهند بره وبحره" لبزرك بن شهريار. ورحلة الفتية المغرورين وعرائس البحر.والفصل الثالث لهذا الكتاب يحتوي على رحلات الرحالين المسلمينالذين طافوا البلاد فأقاموا بين الحاضر والباد. من أهم الراحلين أبو حامد الأندلسي. وأسامة بن منقذ. وعبد اللطيف البغدادي. والفصل الرابع يتضمن رحلة ابن جبير. والفصل الأخير يركز على رحلة ابن بطوطة في العالم. وهذا الكتاب يعرض رحلاتهم عرضاً مفصلاً. وفي نهاية هذا البحث لعرض منهج شوقي ضيف في كتابة هذا التأليف.

التـــــمهـــيد: أدب الرحلة من أهم فنون الأدب العربي. كما تعني الأمم والأفراد بالرحلات.اطلعنا على أسماء رحالين عند الإغريق والرومان دونوا رحلاتهم. وكثرت رحالاتالعرب إلى أقاليم العالم القديم منه والحديث منذ أن فتحوا العالم القديم وسيطروا على أوسع بقاع الأرض من الصين والهند إلى جبال البرينية على حدود فرنسا. لحاجة الدولة إلىالجغرافية للتعرف على الطرق التي تصلها بأقاليمها. ولغرض التجارة عن طريق البر والبحر. ولأدب الرحلة أهمية علمية وأدبية. وهوالنمط الأدبي الذي له علاقة وطيدة للعلوم الاجتماعية. هناك رحلات مختلفة مثل رحلات الحج ورحلات الدعوة والتبليغ ورحلات اقتصادية. وهناك أنواع مختلفة من الرحلات مثل الحجازية. الرسمية. الدراسية. السياسية و العلمية[29]. استفاد بهذا العلم كبار من العلماء الذين اهتموا بتدوين المواد التاريخية والجغرافية. ومن بينهم الدكتور شوقي ضيف[30]الذي اهتم بتدوين مواد حول أدب الرحلة وصنف كتابا -

---

[28] الباحث بكلية دراسات العرب قسم اللغة العربية. جامعة اللغة الإنجليزية و اللغات الأجنبية حيدر اباد.

[29]. البعث الإسلامي : مجلة إسلامية شهرية جامعة. العدد الثالث ، المجلد الرابع و الخمسون : ذو القعدة 1429 للهجري الموافق نوفمبر 2008 م ص64_65.

[30] هو أحمد شوقي عبد السلام ضيف ولد بمحافظة دمياط بمصر يوم 13 يناير سنة 1910، و توفي سنة 2005م ، قد توفي أبويه في صغر سنه كما بينه في كتابه المبيرة الذاتية "محي" " أن الموت اختطفهما سريعاً ، توفي أبوه حينما كان شوقي ضيف في الثالثة عشرة من

Scanned with CamScanner

ذاع صيته رغم صغر حجمه- باسم"الرحلات". كما حث الإسلام على الرحلة والسياحة، ويدعو إلى السفر والسياحة في الأرض طلباً للعلم والمعرفة والتفقه والتدبر في آيات الكون وأخذ العبرةعن عواقب الأمم البائدة.يشير القرآن الكريم إلى هذا " قل سيروا في الأرض..."[31].بدأ المسلمون السفر و كثرت الرحلات في عصر ما بعد الفتوحات الإسلامية فازدهر أدب الرحلة تبعا.

رحلات جغرافية: أما هذا الكتاب فبدأ الدكتور شوقي ضيف الحديث في كتابه بذكر الرحلات الجغرافية، يذكر في هذا الصدد أن العرب اهتموا بوصف البلاد مع دخولهم فيها عند الفتوح، واهتموا بنقل العلوم والمعارف عند الأجانب ما عرفه الفرس والهنود والإغريق عن العالم القديم، وتغلو مع ذلك جغرافية بطليموس.

بدأ تأسيس علم الجغرافية وخريطة العالم على أساس خريطة بطليموس في عصر المأمون بن هارون الرشيد، وجمع الجغرافيون ما شاهدوا بعيونهم وما سمعوا بأذانهم من أوضاع وأحوال المدن وأهلها، حتى أصبحت كتب الجغرافية كالكتب الأدبية، يذكر هنا الدكتور شوقي ضيف بعضها مثل "المسالك والممالك" لابن حوقل[32]. بدأ حديثه بذكر الأندلس فيقول: الأندلس جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها دون الشهر في عرض نيف وعشرين مرحلة، يغلب عليها المياه الجارية والشجر والثمر، والرخص والسعة فى الأحوالمن الرقيق الفاخر والخصب الظاهر إلى أسباب التملك الفاشية في أكثرهم، ولماهم به من رغيد العيش وسعته وكثرته....[33].

يشير ابن حوقل إلى رغد هذا البلاد وخصب أراضيها ومواردها وما فيها من عجائب من المساجد والأسواق والأنهار، وصف الأندلس وصفاً دقيقاً، ما شاهد في رحلته في العالم الإسلامي، ثم يذكر الدكتور عن كتاب (أحسن التفاسير في معرفة الأقاليم) للمقدسي[34]، ألف المقدسي هذا الكتاب وصوّر فيه أحوال الأقاليم الجغرافية والعمرانية، و اهتم بذكر اختلاف أهل البلدان الإسلامية في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ومذاهبهم وطعامهم وشرابهم وثمارهم. وهو يقول: ما تم لى جميع الكتاب إلا بعد جولاتى في البلدان ودخولى أقاليم الإسلام ولقائى العلماء وخدمتى الملوك ومجالسى القضاة ودرسى على الفقهاء، واختلافى إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ومخالطة الزهاد والمتصوفين وحضور مجالسى القصاص ولمذكرين مع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاشر مع كل أحد....[35].

تناول في هذا الكتاب أحوال كل بلدة وأهلها وطبائعهم وطعامهم وملبسهم وعاداتهموغير ذلك من ثقافتهم، عند وصف العراق يقول: أظرف الأقاليم العراق وجوه أخف على القلب و أحدّ للذهن وبه تكون النفس أطيب والخاطر أف أجلها وأوسعها فواكه وأكثرها علماء، أجلّه المشرق (الدولة السامانية في خراسان) وأكثرها صوفاً وقزاً الديلم (جرجان و طبرستان) وأجودها ألباناً وأعصالاً وألذها أخباراً وأماكنهازعفرانا الجبال، أكثرها ثماراً وأرخصها أسعاراً....[36].

وبعد هذا الكتاب يذكر شوقي ضيف "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للادريسي[37]، وهو الذي لقي ملك روجر فعرف روجر قدرته البارعة على رسم الخرائط ومهارته في علم الجغرافية، فطلب إليه أن يؤلف فيها كتاباً له، جمع

عمره ، أكمل تعليمه في المعهد الأزهري و يقرأه أبوه كل صباح شيأ من ذكر الحكيم و أرسل أبوه الى أصحاب العلم و الفضل بين صلاة المغرب و العشاء كئ يستفيد منهم من العلم و المعرفة استفادبهم شوقي ضيف استفادةً تامةً . معي ج1 ص17 - 18

[31]. القرآن الكريم: سورة الروم آية 42.
[32]. هو جغرافي القرن الربع ، نشأ في بغداد، فطاف بهذا العالم ثلاثين سنة .
[33]. انظر للتفصيل شوقي ضيف : الرحلات ص13 .
[34]. هو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر من بيت المقدس بفلسطين، هو من أعظم الجغرافيين عند العرب في جميع عصورهم، عاش في القرن الرابع الهجري .
[35]. أنظر للتفصيل شوقي ضيف: الرحلات ص16.

[35]. شوقي ضيف: الرحلات ص16.
[37]. هو أبو عبدالله محمد ، أكبر جغرافي بلاد المغرب ولد سنة 493 الهجري الموافق 1099م، و هو من سلالة الرسول عليه السلام، و من بست بني حمود الذين تملكوا بعض بلدان الأندلس في القرن الحادي عشر .

Scanned with CamScanner

الإدريسي ما كتب في هذا العلم، ألف كتاباً لروجز وسماه "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق". و نقل هذا الكتاب إلى اللاتينية موجزا له في القرن السادس عشر[38].

هذا الكتاب من أعظم مصنفات العصور الوسطى في الجغرافية، يصف الإدريسي كل ما شاهدمن عجائب البنيان والآثار لكل بلدة، وهو أيضاً يصف للعالم المسيحي في أوروبة، كما يصف مدينة طليطلة، وهو يقول عنها "مدينة طليطلة من طليرة شرقاً، وهي مدينة عظيمة القطر، كثيرة البشر حصينة الذات، لها أسوار حسنة، ولها قصبة فيها حصان ومتعة وهي أزلية من بناء العمالقة.....انتهى الإدريسي تاليف هذا الكتاب سنة 548 للهجري الموافق 1153 م ، وألف لروجز كتاباً أخر سماه "روض الأنس و نزهة النفس[39].

ثم يعرض الدكتور "آثار البلاد و أخبار العباد" للقزويني[40]، اهتم بأحوال البلاد وسكانها، قسم كتابه إلى سبعة أقاليم، ويصف كل ما فيها من عجائب وآثار، وأيضاً جمع المواد التاريخية من أوروبة وإفريقية واسيا وبلد الهند والصين

وهو أيضاً يقص أقاصيص عن البلاد الإسلامية، وكثيرا من الحكايات عن الزهاد والصالحين، كما يعرض لكثير من أخبار التاريخ والملوك السابقين[41]. و من أهم كتب الجغرافية على هذا المنوال كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي الذي ألف سنة 626 للهجري الموافق 1228 م، و "كتاب البلدان" لليعقوبي و "الأعلاق النفسية" لأبي رسته، و "البلدان" لأبي النقية و "تقويم البلدان" لأبي الفداء[42].

رحلات بحرية:يتضمن هذا الفصل حديثا عن عالم البحر، يذكر الدكتور شوقي ضيف في هذا الصدد، كان العرب يرحلون بطريق البحر للتجارة والغزو وهم ينقلون بالبحار القديمة مثل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وهم يتمتعون بهذه الرحلة متعة حقيقية، و اهتم العرب بالحديث عن البحار في كتبهم، وهم يصفون ما شاهدوا من عالم البحر من الحيوانات والطيور والأسماك، وعجائب الأرض، وهي صورة واضحة لهذه الطيور والحيوانات[43]

ثم يذكر عن رحلة التاجر من تجار العراق سليمان كتب سليمان رحلته سنة 237 الهجري الموافق 851 م، وهي تعد من أقدم رحلات العرب البحرية، بدأ حيثه بوصف بحر لاروى وبحر الهركند، يذكر في هذا الصدد عن اللؤلؤ والذهب والسمك، ثم يذكر عن الثغور والمواضع التى تمر بها السفن، ثم يذكر عن بلاد الهند والصين وملوكها وعن أحوال الناس وطباعهم وحكومتهم. يقول عن الصين والهند "أهل الصين أهل ملاه وأهل الهند يعيبون الملاهي ولا يتخذونها ولا يشربون الشراب ولا ياكلون لأنه من الشراب وليس ذلك ديناً ولكنه أنفة، ويقولون أي ملك شرب شراب فليس بملك، و ذلك أن حولهم ملوكاً يقاتلونهم فيقولون كيف يدير الأمر ملكه من هو سكران ؟....[44].

ثم يتقدم الدكتور شوقي ضيف في حديثه بذكر "عجائب الهند برّه وبحره وجزائره" لبزرك بن شهريار، نشر هذا الكتاب بأيدي المستشرقين سنة 1886م في ليندن، ويقص عن الحيوانات البحرية، في بحر الملاتو بالقرب من الصين يقول: " سافر رجل في مركب له عظيم، ومعه فيه خلق من أخلاط التجار من كل بلد، وهم يسيرون في بحر ملاتو وقد قربوا من أطراف أرض الصين، وأبصروا بعض جبالها، فلم يسعهم إلا الانصراف معها حيث توجهت، وركبهم من هول البحر ما لا طاقة لهم به، ومرت بهم الريح إلى سمت سهيل(النجم).....يصف في هذه القطعة البحر

---

38. نفس المرجع ص19.
39. نفس المرجع ص20- 21 .
40. هو زكريا بن محمد من أقليم بحر قزوين شمال ايران، عاش القزويني في القرن السابع و توفي سنة 682 للهجري الموافق 1283 م ، له كتابان أخران هما (آثار البلاد) في الجغرافيا و (عجائب المخلوقات و غرائب الموجودات) في الفلك و التاريخ الطبيعي.
41. شوقي ضيف: الرحلات ص24.
42. نفس المرجع ص26 .
43. نفس المرجع ص28 .
44. شوقي ضيف : الرحلات من ص29 إلى ص33.

Scanned with CamScanner

وصفاً دقيقاًويبين صورتها في السيل وما فيها من الحيوانات، ثم يقص عن أخبار بعض بلدان آسيا[45]. وهذا الكتاب يملئ بحكايات عن أحوال الناس في جزائر المحيط الهندي، ويصف عن عباد الهند وبيوت عباداتها وثيابهم وتعاويذهم، ثم يذكر عن طيور الجزائر الهندية وبلاد الزنج.

ثم يذكر الدكتور شوقي ضيف عن رحلة الفتية المغررين، وهم ثمانية رجال جابوا الأندلس والبحر المظلم في القرن الرابع للهجري، ثم نزلوا بجزيرة كثيرة الغنم ووجدوا هناك أشجار التين ومياها الجارية، وزاروا الجزيرة المحيط الأطلسي وجزائر أزرا، ثم لقوا بترجمان الملك، سأل الملك عن وجهتهم قالوا إنهم خرجوا في البحر لرؤية عجائبه[46].

ثم يذكر المؤلف عن "عرائس البحر" وأثار البلاد وعجائب المخلوقات" فيها أخبار عن الأساطين كما كان في "كتاب البلدان" لإبن الفقيه الذيروي عن عرائس البحر، كما يأتي حديث عن بحيرة الهند: "وهي بحيرة مقدار عشرة فراسخ في مثلها، ماؤها ينبع من أسفلها، لا يأتيها شيئ من البحار، وفي تلك البحيرة حيوانات على صورة الإنسان...."[47].يتقدم لنا بزك بن شهريار حديثه في كتابه (عجائب الهند) فهو يختص هذه الجزيرة بالنساء يقول: "نحن أهل بلاد واسعة ومدن عظيمة بهذه الجزيرة، مسافة ما بين كل بلد من جميع بلادنا بين هذه الجزيرة ثلاثة أيام بلياليها، وكل من في أقاليمنا ومدننا من الملوك والرعايا يعبدون النار التي تظهر لهم في جزيرتنا، ويسمونها بيت الشمس، لأن الشمس تشرق من طرفها الشرقي وتغرب في جانبها الغربي فيظنون أنها تبيت في هذه الجزيرة..... يعبدونها ويقصدونها بصلاتهم وسجودهم من سائر الجهات ثم أن الله سبحانه وتعالى جعل المرأة في بلدنا تلد أول بطن ذكراً، وثاني بطن أنثين، وكذلك باقي عمرها، مما أقل الرجال وأكثر النسوان !...."[48].

رحلات في الأمم والبلدان:في هذا الفصل يتحدث عن أهم راحلين وكتبهم، ويذكر في هذا الصدد أن الراحلين الذين جابوا أواسط إفريقية وأوروبة وأسيا والهند والصين وصحرائها وبحر قزوين والشام ومصر، ونعرف هذا كلها من كتب التاريخ والجغرافية التي كتبت في القرن الثالث الهجري، والتي تدل على كثرة الراحلين والسياح، من أقدم الراحل هو سلام الترجمان الذي يقال:" إن خليفة الواثق (842 _ 847) أرسله في بعثة إلى بلاد الصين ليشاهد السدّ الذي بناه الإسكندر في ديار يأجوج ومأجوج وعادت البعثة فقصت على الناس أخبار الصين وعجائبها...."[49]، والراحل الأخر هو ابن وهب القرشي الذي يقال إنه استطاع لقاء ملك الصين وعرض عليه الملك صور الأنبياء، وكانت هذه الرحلته في سنة 870 م .

والعرب جابوا العالم وتوغلوا كل أقاليم من حولهم تعرفوا جغرافيتها وتاريخها وأحوال سكانها معرفة دقيقة، ومن بين هذه الكتب كتاب "مروج الذهب" للمسعودي وهذا الكتاب صورة واضحة للأمم الأجنبية والإسلامية وأحوالهم وأوضاعهم.

ثم يذكر الدكتور عن أهم الراحلين منهم أبو حامد الأندلسي[50]في شرقي أوربة، طاف هذا الرجل بإفريقية الشمالية وصقلية ومصر والشام والعراق، ثم زار بحر الأسود ونهر فولجا، سجّل في كتابه "تحفة الأصحاب ونخبة الأعجاب" ما شاهده في رحلته في هذه البلدان والبحار، حينما زار أراضى البلغار قال: "و يوجد في أرض البلغار من

---

[45]. شوقي ضيف :الرحلات من ص34 إلى ص41.
[46]. نفس المرجع ص42 و ص44.
[47]. نفس المرجع ص45.

[48]. شوقي ضيف : الرحلات ص46.
[49]. نفس المرجع ص49.
[50]. عاش بين 474 الهجري 564 الهجري الموافق 1080م – 1169 م له كتابان (تحفة الأعجاب) و (المغرب في عجائب المعرب) الرحلات ص51.

Scanned with CamScanner

عظام قوم عاد، السنّ الواحد عرضه شبران وطوله أربعة أشبار. ومن رأسه إلى منكبة خمسة أذرع. ورأسه مثل القبة العظيمة. وهو هناك كثير ..... [52]

ثم يروي أبو حامد عدة الأسطورة التي زار بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ويذكر ما شاهده في البلدان والبحار "ولقد حدثت بالفار أن سمكة من تلك السمك في بعض السنين نفسوا أذنها، وجعلوا فيه حبالا. وجروا تلك السمكة، فانفتح أذنها، وخرج من داخلها جارية لشبه الآدمية، بيضاء حمراء الخدين، سوداء الشعر، من أحسن النساء، فأخذها أهل بورا وأخرجوها إلى البر ..." [53]

ثم يذكر الدكتور شوقي ضيف عن أسامة بن منقذ [54] زار مصر عهد الفاطمي، وبلاد العرب والجزيرة وقص كثيراً من الصليبيين في كتابه "الاعتبار" سجّل في هذا الكتاب عن أسفاره في دمشق ومصر، ومشاهداته للصليبين أثناء الحرب، ويذكر فيه أيضاً عن الإفرنج وأخلاقهم [55]. وهذا الكتاب صورة واضحة عن حياة الصليبيين.

ثم يتحدث عن عبد اللطيف البغدادي عالماً وفيلسوفاً، طاف هذا الرجل مصر والشام، ووصف فحصاً أصاب مصر في تلك الفترةوهذا الوصف في كتابه "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر" وهذا الكتاب من أهم كتب الرحلات. قسّم المقالة الأولى إلى ستة فصول. في الفصل الأول يصف خواص مصر العامة. والفصل الثاني يختص للنباتات ويذكر عن البامية ويقول: "من ذلك البامية. وهي ثمر يقصر إبهام اليد... شديد الخضرة. إلا أن عليه زغراً مشوكاً، وهذا الثمر مخمس الشكل يحيط به خمسة أضلاع..." [56]. ويصف كذلك بقية نباتات مصر وفواكها. ثم يصف عن حيوانات مصر وأهراماتها ويذكر عن اسكندرية. والفصل الخامس لهذه المقالة يختص بالحديث عن غرائب الأبنية المستحدثة والسفن. وفي آخرها يذكر عن غرائب الأطعمة. و المقالة الثانية يتضمن عن النيل وكيفيتها وعللها. وفيها أيضاً كلام عن حوادث سنتي 597 الهجري و598 الهجري [57].

الرحلات المختلفة : يذكر الدكتور في هذا الباب عن أكبر رحالة العرب وفيلسوف العرب هو البيروني، زار الهند فقيد مشاهداته في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة "وهذا الكتاب موسوعة لجغرافية الهند وتاريخها ومعارفها في العلوم خاصة من الرياضة والفلك. ثم يصف عن البيروني السائح الذي طاف بالعالم الإسلامي، وزار القسطنطينية وصقلية وجزائر بحر الروم. وعي بتدوين مشاهداته في كتابه "الإشارات إلى معرفة الزيارات". ثم يذكر عن ابن رشيد السبتي وهو الذي عني في رحلاته بأخبار الأدباء والعلماء في كل قطر ما شاهده. وألف كتاباً شهيراً عن ابن خلدون باسم "التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً و غرباً" [58].

وبعد هذا الحديث يذكر الدكتور عن كتاب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) للطهطاوي. وبعده يذكر الراحلين المصريين الذين زاروا بلاد العرب وأوروبة والبلاد الإسلامية. وهم يدونون تارة لغرض النزهة وتارة للتجارة. وفي بعض الأحيان في المؤتمرات. وعنوا بتدوين مشاهداتهم كما فعل المنلوني في كتابه "الرحلة التجارية" على المعلومات عن مناسك الحج. ومحمد حسين هيكل بوصف مشاهداته في كتابه "في منزل الوحي" وفي الرحلة في البلاد

---

[52] شوقي ضيف: الرحلات ص52.
[53] نفس المرجع ص54.
[54] هو من أحد أبطال المعارك الصليبية، كان أسيراً لدى الفاتمي و عاش من 488 الهجري _ 584 الهجري الموافق 1095 م _ 1188
[55] كان أجزاء من أجزاء لقمة تشوز في الشعر.
[56] شوقي ضيف: الرحلات ص55.
[57] شوقي ضيف: الرحلات ص60- 63
[58] شوقي ضيف: الرحلات من ص61 الى ص63
[59] نفس المرجع ص63 ز ص 67

Scanned with CamScanner

الحجازية، وأحمد حسنين يصف رحلته في الصحراء الغربية في كتابه "في صحراء ليبيا". ومحمد تيمور زار أمريكا وسجّل مشاهداته في كتابه (أبو الهول يطير)[58].

رحلة ابن جبير[59]: يصف الدكتور شوقي ضيف في هذا الفصل عن حياته وتطوافه في البلاد، بدأ رحلته في سنة 578 الهجري الموافق 1183م، أولا اتجه إلى الإسكندرية ثم القاهرة وبعد ذلك اتجه إلى مكة فأدى فريضة الحج وزار المدينة، ظل بها ستة أشهر ثم اتجه إلى الكوفة فبغداد، حينما سمع عن فتح بيت المقدس بأيدي صلاح الدين أيوبي، و عزم أن يزور هذه القطعة المباركة وما لبث هناك كثيرا، حتى عاد إلى بلاده سنة 585 الهجري الموافق 1191م، ورحل إلى مكة مرة ثانية سنة 611 للهجري الموافق 1217م، حتى لبي نداء ربه سنة 614 الهجري الموافق 1217م، جمع بعض تلاميذه رحلاته ونشرها بعد وفاته بعنوان "تذكار بالأخبار عن اتفاقات الأسفار"[60].

ثم يذكر عن رحلة ابن جبيرفي الديار المصرية، سجّل ابن جبير ما شاهده من عجائبها ومبانيها ومدارسها وهياكلها، ثم يذكر عن رفاهية أهلها في المعيشة ومدنها المختلفة وهو أيضاً يذكر عن مشهد الحسين الذي في مدينة القاهرة يقول عنه: "أول ما نبدأ بذكره... المشهد العظيم الشأن، الذي في المدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما، وهوفى تابوت فضة مدفون تحت أرض، قد بني عليه بنيان حفيل، يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به مجلّل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ومنه ما دون ذلك...[61] وهو يصور هذا المشهد تصويردقيقاً ويصف منزل من ملوكها، كما يصف عن صلاح الدين الأيوبي ورعايته.

ثم يصف عن رحلته في الأراضي المقدسة، زار المسجد الحرام ووصف وصفاً دقيقاً، كما يصف عن رحلته في العراق والشام وفي نهاية يذكرعن عودته إلى الوطن في الثامن من رجب سنة 585م[62].

رحلة ابن بطوطة[63]: هذا الفصل الأخير يتضمن رحلة ابن بطوطة أعظم رحّالة عرفه العرب في تاريخهم الوسيط، في سنة 1324م خرج من بلاده وجاء إلى بيت الشيخ برهان الدين ضيفاً ومكث ببيته ثلاثة أيام وحثه الشيخ على الرحلة والسياحة ، فقاله الشيخ: "أراك تحبّ السياحة في الآفاق، فأجابه! نعم، و لم يكن خطر بباله التوغل في البلاد القاصية مثل الهند والصين، فقال له الشيخ، إني أحمسك السلام إلى إخوة لي في الهند والسند والصين، فرحل ابن بطوطة إلى هذه البلاد، أولاً يرحل من الإسكندرية إلى القاهرة[64].

مرة زار فوّه وبات على سطح زاوية شيخ صالح يسمى أبو عبد الله المرشدي فرأى في منامه، أنه على جناح طائر عظيم يطير به في سمت القبلة يتأمن ، ثم يشرق، ثم يذهب في ناحية الجنوب، ثم يبعد الطيران في ناحية الشرق، وينزل في أرض مظلمة حضراء، ويترك بها، وقصّ رؤياه على الشيخ وسأله تأويله فقال له: سوف تحج وتزور النبي صلى الله عليه وسلم وتجول في بلاد اليمن والعراق بلاد الترو بلاد الهند، وتبقى بها مدة طويلة[65].

طاف ابن بطوطة هذه الأماكن والبلاد وأعجب بها، ونال شهرة عظيمة في الرحلة في العالم، زار العراق وبصرة وافريقية الشرقية والخليج الفارسي وظفار وعمان وبحرين والشام وآسية الصغرى (آناصول) والقسطنطنية

---

58. شوقي ضيف: الرحلات ص69.

59. هو أبوالحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، ولد سنة 540 للهجري الموافق 1145 م ببلنسة، وهو من أسرة كريمة، أسرته من بلاد شاطبه

60. انظر للتفصيل شوقي ضيف: الرحلات ص70- 71.

61. شوقي ضيف: الرحلات ص72 و ص74.

62. شوقي ضيف: الرحلات ص90.

63. هو أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي، ولد في طنجة سنة 703 للهجري الموافق 1309 م، اهتم ابوه بتربيته و علم فقه و علوم الأخرى من كبار العلماء، من بينهم الشيخ برهان الدين هو من أشهر اساتذته.

64. شوقي ضيف: الرحلات ص95.

65. نفس المرجع ص97 – 98.

Scanned with CamScanner

وخوارزم وبخارى وافغانستان. ودخل ابن بطوطة الهند سنة 1333م، ولقي بسلطان ذلك الوقت محمد شاه وأقام هناك ثماني سنوات، حتما دخل الهند وزار هناك عجائبها وسجّل كل ما شاهد في الهند من أنهار وأشجار وفواكه وغير ذلك. وأرسله السلطان مع الوفدإلى الصين، ما رجع إلى السلطان بل اتجه من الصين إلى بلاد أخرى مثل تونس، الجزائر، المراكش وزار بعض أماكن الأندلس.

ثم يعرض الدكتور شوقي ضيف رحلته من الأناصول إلى بلاد المغول، ووصف ما شاهده في رحلته آثار ذلك بلاد ومساجدها ومدارسها وحماماتها وأسوارها وسكانها، ثم يعرض رحلته من قندهار إلى الصين[66]، ويقول عن الصين: " أهل الصين يعبدون الأصنام، ويحرقون موتاها كما تفعل الهنود، وملك الصين تترى من ذرية تنكيزخان، وفي كل مدينة من مدن الصين مدينة (حيّ) للمسلمين ينفردون فيها بسكانهم، ولهم فيها مساجد لإقامة الصلوات المفروضة و وسواها، وهم معظّمون محترمون، و أهل الصين غير المسلمين يأكلون لحوم الحنازير و الكلاب ويبيعونها في الأسواقهم....."[67]، وفي النهاية يذكر الدكتور عن رحلته في السودان الغربي، وزار هناك أماكن كثيرة، ووصف شؤن أهلها.

منهج الدكتور شوقي ضيف في كتابة هذا الكتاب: كان شوقي ضيف من أبرز مؤرخي العرب في الجيل الجديد خاصة في مصر.قدانفرد بعبقريته بين المعاصرين وتفوق على أدباء مصر خاصة والعرب عامة بغزارة علمه وسعة اطلاعه. مارس في الأدب واللغة وألّف أكثر من خمسين كتاباً في علوم مختلفة، ومن بين هذه الكتب كتاب "الرحلات" وهو كتاب منفرد في أسلوبه، وهو الرجل الوحيد الذي أخذ من كل علم بطرف، كما مارس في التاريخ والنقد والبلاغة والنحو والسيرة الذاتية والرحلات وغير ذلك من العلوم ممارسة حقيقية.

المنهج الذي اتبعه الدكتور شوقي ضيف في الرحلات هو منهج تحليلي وصفي، فيه عبارات سهلة وبليغة، وأسلوب جيد ليس فيه التعقيد أو الغموض، وهذا الكتاب نموذج لأدب الرحلة، أخذ معلومات عن الراحلين وكتبهم، وبعض المعلومات عن العرب القدامي وبيّن كيفيّة رحلتهم إلى البلاد المختلفة والأماكن النائية، ذكر المتون من مؤلفات هؤلاء الراحلين ما ألّفوا في مشاهداتهم في تلك الأماكن، وهذا الكتاب ملئ بتلك العبارات كي يدلل دليلاً كاملاً ويثبت قوله عن ذلك الراحل، ومع ذلك عني الدكتور شوقي ضيف بتاريخ ميلاد الراحل الهجري أوالميلادي، أما تاريخ الوفات ما عني به، أما المعلومات عن الراحلين فيصفها وصفاً كاملاً.

المراجع و المصادر

1- الدكتور شوقي ضيف: الرحلات، الطبعة الرابعة، دار المعارف 1119 كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع.
2- الدكتورشوقي ضيف: معى، روائع السيرة الذاتية، مهرجان القراء للجميع 2003، مكتبة الأسرة.
3- دكتور طه وادى: شوقي ضيف سيرة و تحية، دراسات في الأدب و النقد و اللغة بقلم مجموعة من أساتذة الجامعات العربية، الطبعة الثانية 1418 الهجري الموافق 1998 م، دار النشر للجامعات مصر.
4- سميرة صادق شعلان و خالد مصطفى: شوقي ضيف في عيون صفوة من الأعلام، جمهورية مصر العربية لجمع اللغة العربية.
5- البعث الإسلامي : مجلة إسلامية شهرية جامعية، العدد الثالث ، المجلد الرابع و الخمسون: ذو القعدة 1429 للهجري الموافق نوفمبر 2008 م

[66]. شوقي ضيف: الرحلات ص113.
[67]. شوقي ضيف: الرحلات ص 117.

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

الإفتتاحية

اللغة العربية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، و شرف اللغة العربية بكتابه وحفظها ، والصلاة والسلام على الرسول العربي محمدٍ صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

وسِعتُ كتابَ اللهِ لفظًا وغايةً ... وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظَاتِ

فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ ... آلـةٍوتـنسيقِ أسمـاءٍ لمخترعاتِ

أنا البحرُ في أحشائِه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغوّاصَ عن صدفاتي؟

لا يخفى على ذي لُبٍّ ما للغةِ العربية من أهميةٍ عظمى، وأنها تُعتبرُ لغة عالمية من بين ثلاثة آلاف لغة في العالم . ومن أعظم وأقدس وأوسع لغات الأديان الأربعة :السريانية و اليُونانية و العبرانية و العربية ، لكونها غنية بالمفردات والمترادفات و وجود الألفاظ المضادة والتشبيه والمجاز واشتقاق الكلمات وكذلك للخصائص التي تحملها معاني التراكيب اللغوية ، فيما يسمى بـ " علم البلاغة " ولذلك كانت اللغة العربية لغة القرآن الحكيم والسنة المقدسة، ولغة أهل الجنة كما روى الطبراني في الأوسط والحاكم و البيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أحبوا العربَ ثلاثا : لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي". وكما يعرف كل واحد منا بمعرفة جيدة أن اللغة العربية هي مفتاح الكنوز الثمينة للعلوم الإسلامية و وسيلة أساسية لفهم ما جاء به كتاب الله ورسوله الكريم وما نقل عن السلف الصالح في كافة العلوم والفنون والمعارف التي تؤثر تأثيرا واضحا كبيرا على تربية العقول والنفوس والأخلاق لأبناء الأمة هذه. قال الإمام الشافعي في رسالته بصدد الكلام على لسان العرب " ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا ، وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي ". (الرسالة 34) وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: "إنَّ الله لما أنزل كتابَه باللسان العربي، وجعل رسولَه مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السَّابقين إلى هذا الدين متكلِّمين به، ولم يكن سبيل إلى ضبط الدِّينِ ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، صارت معرفته من الدِّين، وأقرب إلى إقامةِ شعائر الدين... (مجموع فتاوى ابن تيمية، ج8 ص343) بل أُثر عن أبي الريحان البيروني قوله" :لأنْ أُشتم بالعربيةِ خير من أُن أمدحَ بالفارسية". ويقول السيوطي: "ولا شكَّ أنَّ علم اللغة من الدين: لأنه من الفروضِ الكفايات، وبه تُعرفُ معاني ألفاظ القرآن والسنة".و يقول مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - مبينًا هذا: "ما ذلَّت لغةُ شعبٍ إلاَّ ذلَّ، ولا انحطَّت إلاَّ كان أمرُه في ذَهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرضُ الأجنبيُّ المستعمر لغتَه فرضًا على الأمَّةِ المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمتَه فيها، ويستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحدٍ: أمَّا

Scanned with CamScanner

الأول: فحَبْس لغتهم في لغته سجنًا مؤبَّدًا، وأمَّا الثاني: فالحكمُ على ماضيهم بالقتلِ محوًا ونسيانًا، وأمَّا الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلالِ التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمره تَبَعٌ". بل قال الإمام مالك: " مَنْ تكلّم في مسجدنا بغير العربيّة أُخرِجَ منه" . قول المستشرقة الألمانية الدّكتورة في الفلسفة ماري شيمل،والتي ترجمت القرآنَ الكريمِ الى الألمانية: " واللّغة العربيّة لغةٌ موسيقيّةٌ للغايةِ، ولا أستطيعُ أن أقول إلاّ أنها لا بُدَّ أنْ تكونَ لغةُ الجنّةِ.. وكما نعرف بمعرفة جيدة ، أنّ للغة العربية أهمية كبيرة في العصر الراهن نظرا لأهميتها الاقتصادية في البلدان العربية المنتجة للنفط في السيناريو العالمي. يمكن تعلم اللغة العربية تفتح أبوابا للعمل في صناعة النفط والسفر، و تساعدنا على إيجاد مهنة في مجموعة متنوعة من المجالات مثل الصحافة والصناعة، والتعليم، والعلوم المالية والمصرفية، والترجمة و مراكز الاتصال، والاستشارات، والخدمات الخارجية والمخابرات الخ.

وكذلك نزلت اللغة العربية هنا بكشمير منزلة النهضة العلمية بصفتها لغة دين الإسلام والمسلمين و أصبحت لغة متداولة . وقد وفد على كشمير كثير من فحول العلماء والشعراء المفضلين المبرزين المتميّزين من أماكن مختلفة وقاموا بدور مهم في نشر الإسلام و تطوير اللغة العربية و نشرها ، وخاصة الشيخ شرف الدين رحمه الله الذي كان يلقب بـ " بلبل شاه " والشيخ الشاه همداني ، والسلطان زين العابدين الذين لعبوا دورا مهما في ترقية و نشر اللغة العربية في كشمير.

إن عناية هؤلاء الأفذاذ باللغة العربية نابعة من إيمان راسخ وعقيدة صادقة ، بأنها لغة القرآن الكريم ولغة دينهم وثقافتهم وآدابهم ، وعلومهم ، ولم تصادف هناك صعوبة في انتشارها ولا عقبة في دراستها ولا صعوبة في تطبيقها لأنهم ألفوها من قديم وورثوها من الأجداد والآباء و طرقوا أبوابها بالتأليف والتصنيف وقاموا من أجل اللغة العربية بخدمات جليلة وعظيمة .

وإنني أرى أن الواجب الديني يفرض اليوم على أهل كشمير خاصة والمسلمين عامة الاهتمام بهذه اللغة الشريفة العظيمة التي هي مصدر و منبع العلوم الإسلامية ، فمن الواجب بذل الجهد والمال للحفاظ على هذه اللغة السماوية, فيجب على المهتمين بالعلم والأدب والمحاضرين للغة العربية بالجامعات والكليات والمعلمين بالمدارس الإسلامية أن يقوموا بنشر هذه اللغة مع إخلاص صادق وجهد حسن. وكما أنتم تعرفون إلى أقصى حدود المعرفة أنّ أهداف هذه المجلة "التلميذ" الاهتمام بترقية ونشر اللغة العربية في أنحاء كشمير كلها، فنحن نريد منكم المساعدة العلمية و الأدبية والمالية.

Scanned with CamScanner

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

درس من التنزيل، الدكتورة نور أفشان[1]

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

الآية	الكلمة	التفسير
1	ألم نشرح	ألم نُفسِح بالحكمة والنبوّة
2	وَضَعْنا	خَفّفنا عنك وسَهّلنا عليك
2	وزرك	حِمْلك "أعباء النبوّة والرّسالة"
3	الذي أنقض ظهرك	أثقله حتّى سُمِعَ له نقيض "صَوْتٌ"
7	فإذا فرغت	مِنْ عِبَادة أدّيتها
7	فانصبْ	فاجْتهِدْ واتْبعْها بعِبادة أخرى
8	فارْغَبْ	فاجْعَلْ رَغْبَتَك في جَميع شؤونك

محورالسورة المباركة :

يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ المُبارِكةِ حَوْلَ مَكَانَةِ رسُولِ الله صلى الله عليه وسلم المَرْمُوْقَةِ ، وَمَقَامِهِ الرَّفِيعِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحانه و تَعَالى ، وَقَدْ جاءت الحَدِيثَ بنِعَمِ اللَّهِ المُتَنَوِّعَةِ عَلَى عَبْدِهِ العَظِيمِ وَرَسُولِهِ الكَرِيمِ محَمَّدٍ وَذَلِكَ بشَرْحِ صَدْرِهِ بالإيمَانِ ، وَتَنْوِيرِ قَلْبِهِ بالحِكْمَةِ وَالعِرْفَانِ ، وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالأَوْزَارِ وَكُلُّ ذَلِكَ بقَصْدِ التَّسْلِيَةِ لرَسُوله الحَبِيْبِ عَمَّا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَى الفُجَّارِ و الكُفَّارِ. وَتَطْيِيبِ خَاطِرِهِ الشَّرِيفِ بمَا مَنَحَهُ اللَّهُ مِنَ الأَنْوَارِ.

تفسير السورة المقدسة :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4)

يا محمدُ ! ألم نَجْعَل قَلْبَك واسعًا لشرائع الدين. والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، كي تتحمل كل الأعباء في سفر الدعوة و التبليغ وحططنا عنك بذلك حِمْلك الذي أثقل ظهرك، و ألم نجعلك في منزلة رفيعة عالية؟ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)

فلا يثنك أذى أعدائك و أعْدَاءِ الدِّين و الحق عن نشر رسالة الإسلام: فإن هذا الضيقَ الشَّديْدَ سيذهب، لأن مع العُسْرِ سُسْراً.

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)

فإذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها فَجِدَّ في العبادة، وإلى ربك وحده فارغب فيما عنده.

---

[1] مديرة التحرير لمجلة التلميذ.

Scanned with CamScanner

قراء ة فى كتاب "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" لسيد قطب

د. عناية الله واني الندوي
enayatwani@gmail.com

هذا الكتاب هو عصارة دراسة سيد قطب وتدبره في دين الله وآياته عبر حوالى عشرسنوا ت له على الدرب الإسلامي، وهذا الكتاب من أعمق كتب سيد قطب، فموضوعه: العقيدة وطبيعتها وخصائصها، لقد أوضح سيد قطب في بداية كتابهذا أن هذا البحث الذي سبق الوعد بإخراجه تحت عنوان" فكرة الإسلام عن الله والكون والحياة والإنسان"(1) ثم أعلن قبل ظهوره أنه على سبيل إعداد بحث يستغرق جزئين كاملين يتناول فيهما "خصائص التصور الإسلامي" و"مقومات التصور الإسلامي" على انفراد، لكنه لم يصدر إلا الجزء الأول عام 1962م- تحت عنوان "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" وكان آنذاك رهين المحبس، وأصدر الكتاب الثانى"خصائص التصور الاسلامى"فيما بعد، ذكر الأستاذ صلاح دحبور أن سيدا قد أمضى وقتا طويلا في إعداد هذا الكتاب، حيث استغرق تأليفه حوالي عشر سنوات.(2) . تحدث سيد قطب في بداية الكتاب عن منهجه، يشير فيه إلى ضرورة تحديد "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" لأنه "لا بد للمسلم من تفسير شامل للوجود، يتعامل على أساسه مع هذا الوجود --- لا بد من تفسير يقرب لإدراكه طبيعةالحقائق الكبير التي يتعامل معها، وطبيعة العلاقات والارتباطات بين هذه الحقائق: حقيقة الألوهية، وحقيقة العبودية (وهذه تشمل على حقيقة الكون وحقيقة الحياة وحقيقة الإنسان) --- وما بينها جميعا من تعامل وارتباط".(3)

ثم يقول في حديثه عن المنهج: "منهجنا إذن في هذا البحث عن خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة -بعد الحياة في ظلال القرآن طويلا- وأن نستحضر بقدر الإمكان- الجو الذي تنزلت فيه كلمات الله للبشر، والملابسات الاعتقادية والاجتماعية والسياسية التي كانت البشرية تتيه فيها وقت أن جاءها هذا الهدي، ثم التيه الذي ضلت فيه بعد انحرافها عن الهدي الإلهي!ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم ألا نواجه بمقررات سابقة إطلاقا، لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية -من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة". (4)

بيّن سيد المنهج الصحيح المأمون في فهم القرآن وتفسيره، واستخراج معانيه ومقرراته --- وبيّن المنهج الصحيح المأمون في إدراك خصائص التصور الإسلامي، ومعرفة العقيدة الإسلامية، وعرض موضوعاتها ومباحثها. وحارب بشدة عرض العقيدة بقوالب فكرية بشرية، كالقالب الفلسفي والخلافي.ولذلك دعا إلى اطراح مباحث "التوحيد وعلم الكلام" المعروفة في التاريخ الاسلامي وطالب بالعودة إلى النبع الأصيل في فهم العقيدة وعرضها، وهو القرآن الكريم، يقول سيد:

"وأنا على يقين جازم بأن "التصور الاسلامي" لن يخلص من التشويه والانحراف والمسخ، إلا حين نلقي عن جملة بكل ما أطلق عليه اسم"الفلسفة الإسلامية" وبكل مباحث "علم الكلام" وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضا! ثم نعود إلى القرآن الكريم، نستمد منه مباشرة "مقومات التصور الاسلامي" مع بيان "خصائصه" التي تفرد به من بين سائر التصورات".

بيّن سيد قطب بأن الاسلام جاء لينقذ البشرية من "تيه وركام" في العقائد والتصورات، جاء الاسلام ليأخذ بيد الإنسانية من متاهات الضلال وظلمات الجاهلية إلى نور المعرفة والهداية ويضيئ أمامها منارات الصراط السوي المستقيم المؤدي إلى الفلاح والنجاة، وإن الأديان والنظريات الأخرى سائرها "يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة والفلسفة بالأسطورة" ولا تؤدي إلا إلى التخبط والتشبط والفساد والانحلال والشقاء والتعاسة، وإن الاسلام هو الطريق الوحيد للخلاص من التيه والركام".(5)

Scanned with CamScanner

وبعد ذلك بدأ المؤلف يعرض خصائص التصور الإسلامي واحدة بعد الأخرى، والخصائص التي عرضها سبعة وهي: 1 ـ الربانية 2ـ الثبات 3ـ الشمول 4ـ التوازن 5ـ الإيجابية 6ـ الواقعية 7ـ التوحيد

يبدأ "بالربانية" حيث يؤكد أن من خصائص التصور الاسلامي ربانية المنهاج الذي وضعه الخالق للخلق ليسعد به الإنسانية جمعاء، وهو الله الذي يحب لعباده الخير ولا يحابي أحدا على حساب أحد أو يراعي قوما دون قوم .(6)

الثبات: إن الإيمان بالرب الخالق يجعل القيم والمقومات ثابتة الجذور غير قابلة للتغيير والتطوير، فلا تمضي البشرية شاردة على غير هدى، بل تدور على محور لا يدور ولا تتصدم بالوجود الكوني وعناصره، وفي صورة عدم وجود هذا الثبات تتخبط الإنسانية وتتلبط "تغير أزياءها في الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها في الملابس، وفق أهواء بيوت الأزياء ! ... يراها ـ العاقل ـ تصرخ من الألم، وتجري كالمطارد، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لا شيء! وتجري وراء أخيلة! وتقذف بأثمن ما تملك، وتحتضن أقذر ما تمسك به يداها من أحجار و أوضار! لعنة لعنة كالتي تتحدث عنها الأساطير." (7)

الشمول : وينطلق المؤلف بعد ذلك لـ" الشمول " ليوضح أن الاسلام جاء دينا متكاملا منبثقا من علم الله المحيط على الأزمان والأوضاع يعالج مختلف الشؤون الحياتية التي تحقق للمسلم سعادة الدارين، ولم يأت الاسلام مجرد صلوات أو ترتيل وإنما جاء ليكون منهاج حياة شامل يتناول أدق التفاصيل في نفس الإنسان وجسده وحياته مبينا علاقته مع الله ونفسه والناس بصورة فردية وجماعية معا، فلا يقع اضطراب ولا تناقض ويتمتع القلب بالراحة والعقل بالطمأنينة.(8)

التوازن: ثم يتناول سيد قطب موضوع "التوازن" وبيّن فيه أن الاسلام متوازن في طبيعته وفي مقوماته وإيحاء اته، وتصونه هذه الميزة عن الاندفاعات والغلو والتصادم، إنه لا يترك الإنسان سدى، وإن فيه للمعلوم حظه وللغيب المجهول مجاله، وإنه يقيم توازنا بين الروح والمادة، وإن هناك توازنا بين المشيئة الإلهية وبين ثبات سنن الكون، وبه يعيش الإنسان موصول الروح بالله ومعلق القلب بمشيئته ويجد الكون رفيقا له ومؤنسا به... ثم هناك التوازن بين عبودية الإنسان لله ومقامه الكريم في الكون، يصون من الإفراط والتفريط في تعيين مكانته، إن في عنقه ربقة تلك العبودية لكنه في الوقت نفسه خليفة الله وأشرف خلقه".(9)

الإيجابية: وينطلق المؤلف بعد ذلك للإيجابية ويبين إيجابية علاقة الله بالكون والحياة والإنسان، ويبين أن الإسلام دين إيجابي ما جاء للعيش في الصوامع ولا في المعابد، ولكنه جاء بكل ما من شأنه الإسهام فيبناء المجتمع الإنساني الراقي والحياة الإنسانيةالفاضلة، وبيّن المؤلف أن لا مصارعة بين الخالق والمخلوق وبين العبد والمعبود مثلما يوجد عند الزرداشتيين وعند الإغريق، إنها علاقة الرحمة والعدل وليست علاقة القهر، ثم هناك الإيجابية في الإيمان ونتائجهفي الحياة الإنسانية. (10)

الواقعية: قرر سيد قطب أن التصور الإسلامي "تصور يتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المستيقن، والأثر الواقعي الإيجابي، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع "مثاليات" لا مقابل لها في عالم الواقع، أو لا وجود لها في عالم الواقع" وإنما جاء الإسلام بما يمكن أن يقوم، وقد تم حين وضع المسلمون الأوائل المنهاج القرآني موضع التنفيذ ومارسوه في الحياة وعاشوه أعمارا مفعمة بالبر والرحمة، ويختلف هذا التصور بتاتا عن التصورات الإغريقية والهندوكية حول الألوهية والكون والحياة والإنسان التي تخالف حقائق طبيعة البشر وتكبت الفطرة الإنسانية ... إنه دين الفطرة "فطرة الله التي فطر الناس عليها" .(11)

التوحيد: ويختم المؤلف كتابه هذا بخاصية "التوحيد" الذي هو الحقيقة الأساسية في العقيدة الإسلامية، وهو القاعدة الأولى والركيزة الثابتة التي تقيم العدل وتربى على الشجاعة، وتوحد الصفوف، وتعلي الهمم، وتعلم الاستقامة، وتسمو بأهداف الحياة الإنسانية إلى آفاق عليا لا يعرفها إلا الموحدون. ويختم المؤلف كتابه هذا بقوله:

Scanned with CamScanner

"إن الناس في جميع الأنظمة التي يتولى التشريع والحاكمية فيها البشر ـ في صورة من الصور ـ يقعون في عبودية العباد ـ وفي الإسلام ـ وحده ـ يتحررون من هذه العبودية للعباد ـ بعبوديتهم لله وحده ـ .
وهذا هو "تحرير الإنسان" في حقيقته الكبيرة ـ وهذا ـ من ثم ـ هو "ميلاد الإنسان" فقبل ذلك لا يكون للإنسان وجوده "الإنساني" الكامل بمعناه الكبير ـ الوحيد ـ .

وهذه هي الهداية الربانية التي يهديها للناس في الأرض بعقيدة التوحيد. وهذه هي النعمة الإلهية التي يمنّ الله بها على عباده وهو يقول لهم: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" .
وهذه هي الهدية التي يملك أصحاب عقيدة التوحيد أن يهدوها بدورهم للبشرية كلها، وهذه هي النعمة التي يملكون أن يفيضوا منها على الناس، بعد أن يفيضوها على أنفسهم، ويرضوا منها ما رضيه الله لهم.
وهذا هو الجديد الذى يملك أصحاب عقيدة التوحيد أن يتقدموا به البشرية اليوم كما تقدم به أسلافهم بالأمس، فتلقته البشرية يومها كما تتلقى الجديد، ولم تستطيع أن تقاوم جاذبيته، لأنه يمنحها ما لا تملك بالفعل، فلا يقف لجاذبيته إباؤها لعنيد ـ وهو اليوم يمنحها ما لا تملك، فهو شيئ آخر غير كل ما لديها من تصورات وعقائد، وأفكار وفلسفات، وأنظمة وأوضاع بكل تأكيد ـ وأصحاب عقيدة التوحيد ـ حين يفيؤن إلى منهج الله الذي منّ به عليهم ينادون به ـ يملكون أن يتقدموا للبشرية بالشيئ الذي تفقده جميع المناهج والمذاهب والأنظمة والأوضاع في الأرض كلها بلا استثناء، ومن ثم يكون لهم اليوم وغدا دور جديد، دور عالمي إنساني كبير، ودور قيادي أصيل في التيارات العالمية الإنسانية. دور يمنحهم سبباً وجيها للوجود العالمي الإنساني، كالدور الذي منح العرب الأميين في الجزيرة العربية سببا وجيها للوجود العالمي الإنساني وللقيادة العالمية الإنسانية.
إنهم لا يملكون أن يقدموا للبشرية اليوم أمجادا علمية ولا فتوحات حضارية يبلغ من ضخامتها أن تتفوق تفوقا ساحقا على كل ما لدى البشرية منها ـ ولكنهم يملكون أن يقدموا لها شيئا آخر ـ إنهم يقدمون "تحرير الإنسان" بل "ميلاد الإنسان".

وهم حين يقدمون للبشرية هذه الهدية يقدمون معها منهجًا كاملا للحياة ـ منهجا يقوم على تكريم الإنسان، وعلى إطلاق يده وعقله وضميره وروحه من كل عبودية، إطلاقه بكل طاقاته لينهض بالخلافة عن الله في الأرض، عزيزا كريما كما أراد له خالقه، وفي نهوضه بالخلافة وهو حر كريم، يملك إذن أن يقدم وأن يقوم الأمجاد العلمية، والفتوحات الحضارية وهو في أوج كرامته، فلا يكون عبدا للآلة ،ولا عبدا للبشر، على السواء ـ " (12)
هذا الكتاب مرجع أساسي من مراجع العقيدة الإسلامية، لا يستغني عنه أي دارس للعقيدة، نلاحظ في الكتاب تعمق سيد في معاني القرآن وبلوغه إلى لطائفه ومن تدبره في الأمور الدقيقة الفكرية والفلسفة وقدرته على اللغة وصياغة المعاني والمطالب في أسلوب شيق رصين رزين، وفي الكتاب خير دليل على عبقرية سيد قطب وتملكه لزمام الأدب واللغة بالإضافة إلى نبوغه في العلوم الاسلامية ومفاهيمها.

الهوامش

(1) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص: 5، سيد قطب
(2) أنظر: سيد قطب والتصوير الفني في القرآن، ص271، صلاح عبد الفتاح دحبور
(3) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص: 3 سيد قطب
(4) خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب
(5) خصائص التصور الإسلامي ، ص: 26، 46، سيد قطب
(6) خصائص التصور الإسلامي ، ص: 51، 84
(7) خصائص التصور الإسلامي ص85-108 ، سيد قطب
(8) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص: 109-135 سيد قطب
(9) المصدر نفسه، ص: 51-84
(10) المصدر نفسه ص: 172-192، سيد قطب
(11) المصدر نفسه، ص: 192-213
(12) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ص: 232-234، سيد قطب

Scanned with CamScanner

دراسة فنية لقصص القرآن

الدكتور محمد إرشاد الحق[2]
irshadul.haqq@gmail.com

الملخّص

مما لا ريب فيه أن قصص القرآن ما زالت ولا تزال تجلب أنظار المحققين والباحثين الذين وجدوا فيها مَعينًا لا ينضب من الكمال الفني و الجمال المؤثر. و قد كثرت الدراسات والبحوث التي حاولت دراسة قصص القرآن لإبراز القواعد والمقاييس النقدية في البناء الجمالي و التي يمكن استثمارها للقيام برؤية نقدية إسلامية تقوم على الخصائص المتميزة، ففي هذا المقال تناولت بعض الملامح الفنية لقصص القرآن النبيلة الدائمة الخضرة، و ارجو من القرّاء الأعزة أن يأخذوه محاولة متواضعة بمثابة نقرة العصفور في البحر الزاخر و يأخذوه بعين الإعتبار.

الكلمات الدليلية: الحبكة ، الأحداث، عناصرالقصة، جمالية، الشخصية، الحوار، الصراع، المفاجأ، الزمان والمكان، القاص البشري، الإنسان العادي والمثالي، أسلوب تحليلي، أسلوب تمثيلي

القصص في التنزيل:

قصص القرآن الكريم هي القصص الواقعية التاريخية و أهدافها تسمو على أهداف كل ما سواها لأنها حكم وأسرار مرتبطة برسالة القرآن ومقاصدها دعوته الاعتقادية، والعلمية، والسلوكية، والأخلاقية و وأكبر هدف هو إعجاز القرآن واثبات نبوة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم. وكذلك فيها بيان أن الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله في النهاية ويهلك الكافرين المكذبين.والقصص في القرآن ثلاثة أنواع وهي قصص الأنبياء، والقصص المتعلقة بحوادث غابرة والقصص المتعلقة بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران وغيرها. ومن أغراضها بث المعاني الدينية الواضحة وترسيخ قواعد الدين بما يقع في ثنايا القصص من حوار، ومواعظ وحجاج، يصغي إليها السامع، ويتابعها القارئ، سواء كان موافقا أو مخالفاً، مؤمنا أو كافراً. لما في طبيعة القصص من التشويق والإثارة كما هي تقوم على أسس وخصائص فنية رائعة، فهي تحقق الغرض الديني عن طريق جمالها الفني، الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق.

1- الحبكة والأحداث

يعد هذا العنصر من أهم العناصر في قصص القرآن كله ، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة ، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم ، وسواء أكانت مقسّمة الحلقات أم معروضة في معرض واحد ، وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب أم على طريقة السرد والحوار معا؛ فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده (1)

وإذا اعتبرنا أن القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث والوقائع يؤلف بينها الأديب على نحو بعينه، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتدرج وتتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والأغراض المقصودة، وقصص القرآن لاتعرض من الأحداث إلا ما كان متصلا بالماضي وآثار السابقين لأن تتبع الأحداث الماضية وعرض أنباء الأولين هو الذي يحقق المقصود من هذه القصص(2). وعنصر الحدث يشتمل على صور عديدة من الحوار والجدل الذي تنشأ عنه أزمة الحدث أو عقدته ؛ فإن قصص القرآن لم تعمد في عرض هذه الأحداث على عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بغير ألوانها. أو أن يبدل ويغير من صورها وأشكالها (3) وإذا نتأمل الأحداث الواردة في قصة يوسف عليه السلام نجد أول مشهد للقصة تصويره وهو غلام يخاطب

---

[2] الزميل ما بعد الدكتوراه بقسم اللغة العربية ،جامعة كشمير

Scanned with CamScanner

والده برؤيا رأها في منامه والتي تمثل العقدة الفنية في القصة، وإذ بدأت القصة بالرؤيا فإن تأويلها ظل مجهولا ينكشف شيئا فشيئا ، وفي هذه البداية تشويق وتحفيز للمتلقي، حيث تتنامى الأحداث الرئيسية في القصة بناءاعلى هذا المطلع العقدة الذي ينتهي عنده المقصد في نهاية القصة وهو تحقيق الرؤيا، وقبل أن تتحقق لابد من عقدة أخرى لكل حدث، فتكونت العقدة الثانية عندما ثارت غيرة أخوة يوسف من يوسف عليه السلام وهذه الغيرة قد استثيرت بمؤثرات منها تفضيل يعقوب عليه السلام ليوسف على أخوته لصغر سنه ونباهته، فبدأت عقدة الحدث الرئيسي الأول المؤامرة عندما تأمر أبناء يعقوب على أخيهم يوسف، والواقع أن حدث السيارة وإن كان صغيرا إلا أنه أسهم في تهيئة الأسباب لتولد حدث أضخم وهو حدث المراودة، (4) ومن هنا تبرز إحدى ميزات احكام البناء الفني وهي طواعية الحدث الفني لانبثاق أحداث جديدة منه، إذ يواصل النظم الكريم إعجازه في سبك أحداث القصة وأخيرا يلقي القرآن الكريم الضوء على آخر مشهد وأجلّه في هذه القصة، وهو تحقيق الرؤيا وفيه يقول تعالى: و رفع أبويه علَى العرش وخرّوا لَه سجدا وقال يأبت هذا تأويل رؤيى من قَبل قَد جعلها ربى حقا (5) ومن هنا يتجلى لنا الارتباط العضوي بين بداية القصة ونهايتها حيث بدأت بداية مثيرة للتشويق لتزيح الستار ببطء عن مشهد الرؤيا ولتتحول إلى ما يشبه اللُغز المحير بما تضمه من رمز خفي وبتنقلات عجيبة وأوضاع مختلفة حتى نقف على مشهد النهاية وهو تحقيق الرؤيا فهو حل هذه القصة الجميلة الذي ينتهي بحلول العقدة بطريقة رائعة (6).

1- الشخصية:

الشخصية تظهر فى صور متعددة في قصص القرآن فتارة تظهر فى صورة إنسانية عادية، وقد تظهر فى صورة شخصية مثالية وأحياناً أخرى تأتي بالصورتين المذكورتين معاً -الإنسان العادي والمثالي- فى آنٍ واحد والشخصيات هي التي تحرك الأحداث والوقائع ولا يطغى الحدث على الشخصية ولا بالعكس، والمتأمل لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن يجدهم يشتركون في الصفات والملامح ، فهم جميعا بشر لا ملائكة وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري (7). ولو قرأنا المواقف والأحداث والوقائع مرت بإبراهيم عليه الصلاة والسلام لوجدنا شخصية متمسكا بالإيمان والاستقامة على الدين والتحلي بالخلق الحسن هاديا مهدياً داعياً إلى الله وعبادته وتوحيد ألوهيته صابراً شاكراً، فإبراهيم عليه السلام الهادي الرزين الوقور في صباه وشبابه يبقى هو فى شيخوخته بل تزيده الشيخوخة وقاراً ورزانةً وعقلاً ويضحي بابنه سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو هادئ بالإيمان والصبر والفداء والطاعة والوفاء، ولو حلّلنا شخصية يوسف عليه السلام لوجدنا فيه سمات تترجح بين الإنسانية والمثالية وبين مطلع حياته وفى كنف أبيه يعقوب عليه السلام، وفى بيت عزيز مصر، ثم فى جلوسه أميناً على خزائن أرض مصر وحاكماً (8) و كذلك نجد شخصية سليمان عليه السلام وقصته مع بلقيس ملكة سبأ، إنها تعكس مرة صورة إنسان عادي و أخرى صورة نبي مرسل وثالثة هذه وتلك دون أن تطغى إحداهما على الأخرى و كذلك لو حللنا جميع نماذج الشخصيات فى مختلف القصص لوجدنا فيها الرسم الواضح لكل منها. وقد صورت بأسلوب تحليلي أو بأسلوب تمثيلي. فلكل شخصية جوانبها الشكلية من المجتمع و القوم و والإنتماء و القضايا و قد تظهر براعة القرآن عن طريق الشخصيات بأتم طريق.

1- الحوار

الحوار كما نعرف جميعاً هو: حديث البطل مع غيره وحديثه مع نفسه ومن الواضح أن هذا العنصر يجسم حيوية القصة بأعلى درجاتها الحوار هو محرك للأحداث ومصور للشخصيات ومبلغ إلى الصراع ومؤد إلى الهدف ومظهر للمغزى ولقد كان الحوار فى القصة القرآنية على صور وأشكال، أحياناً يأتي على صورة حوار ذاتي بين الشخص وعقله أو قلبه، كما فى قصة إبراهيم عليه السلام حينما نظر إلى الكو كب والقمر والشمس ويبحث عن إلهه، وقد يكون بين شخصيتين كما فى حوار إبراهيم مع أبيه أو قومه أو الطير أو الشيطان، وقد يكون بين الخالق

Scanned with CamScanner

والمخلوق وهكذا ومرة بالحوار المباشر وأخر غير المباشر. أما أسلوب الحوار فهو أسلوب القرآن ذاته إذ لا يهبط في ناحية، ويسمو في أخرى، تبعاً لاختلاف الظروف والشخصيات ومستوى الأداء عند الكتاب من البشر العاديين.(9)

وإذا نظرنا إلى ذلك القصص المشتمل على الحوار فإننا نجده في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، فمعظم الآيات فيها حوار، ففي بداية القصة نجد حوار يوسف مع أبيه - عليهما السلام- إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي سجدين (10) وحوار يعقوب مع ابنه يوسف إذ يقول له: قال يبنى لا تقصص رءياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطن للإنسن عدو مبين (11).

والمهم أن قصص القرآن تعتمد على عنصر الحوار بأشكاله المتنوعة التي يستدعيها هذا الموقف أو ذاك مع ملاحظة أن الفارق بين القصة الأرضية وقصص القرآن يتحدد بوضوح من حيث معرفة المبدع بما في الصدور وامتناع ذلك عند القاص البشري. الأمر الذي يجعل لعنصر السرد في كشفه عن الأعماق نفس الفاعلية الموجودة في الحوار(12). و الحوار القرآني يمتاز بتعدد ألوانه . فهناك حوار بين الإنسان والإنسان وحوار بين الله تعالى والإنسان ، وحوار بين الله تعالى والملائكة ، وحوار بين الإنسان والحيوان ، وحوار بين الإنس والجن. ونرى إن تعدد مصادر الحوار في القصص القرآني ميزة من المزايا الجليلة التي نراها فيه و لذلك لغة الحوار إلهية آفاقية مثالية لا يصل اليها براعة البشر. (13)

1- الصراع:

الصراع هو المقاومة بين عنصر الخير والشر وبين الحق والباطل. وهو الهداية والدعوة إلى الإيمان أو الإيمان والكفر أو الفطرة السليمة والطوارئ التي تجنح بها ذات اليمين وذات الشمال. ويختلف هذا الصراع من حين إلى آخر مادياً ونفسياً. ونجد الصراع المادي في موقف موسى عليه السلام مع السحرة. ونرى الصراع النفسي في موقف إبراهيم عليه السلام من الشمس والقمر والكوكب. وإن للصراع في القصة القرآنية أثراً كبيرا فإنه يظهر في ربطه الأحداث من جهة والشخصيات من جهة أخرى والحوار من جهة ثالثة و من جميع جهاتها يستولي عليها. ثم يمضي بها إلى غايته المطلوبة. وإذا نظرنا في قصة يوسف عليه السلام بأكملها نجد فيها الصراع من كل هذه الجوانب المختلفة. الصراع القائم بين يعقوب وأبنائه. وبين يوسف عليه السلام وزوجة العزيز. وبين يوسف وإخوته بعد تسلمه مقاليد مصر. ولكن الصراع ثابت على طبيعته الأصلية وهي الإيمان والضلال (14).

1- الزمان والمكان:

القرآن الكريم كتاب فريد في طريقة تعامله مع المادة التاريخية: فهو ينزع الحدث من سياقه التاريخي مستبعداً بذلك عنصرين هامين في الرواية التاريخية:عنصر الزمان وعنصر المكان.

القرآن له منهج خاص في عرض التاريخ، وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي فنراه مثلا، إذا أورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة . ولا في أي سنة انتهت . ونراه كذلك لا يذكر ترتيبها الزمني في التاريخ . بمعنى أنه لا يحدد زمان القصة بألف أو ألفين قبل الميلاد . أو بعده أو قبل البعثة . أو نحو ذلك . وسبب ذلك أن النص على الزمن الذي وقعت فيه أحداث القصة القرآنية لا يضيف شيئا إلى عبرة القصة ومغزاها (15)

وينبغي أن لا نفهم من ذلك أن الزمن ليس له قيمة في كتاب الله عز وجل. فالحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة . وحرص كل الحرص على التصريح بكل جزئية من جزئيات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتبارا. فالعنصر الزمني يظهر حيث يتطلبه الموقف. ويستدعيه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه: ليكون له مكانه الملحوظ في سير أحداث القصة. فهاهم أخوة يوسف وقد نفذوا مكرهم به يعجزون عن مواجهة أبيهم في ضوء النهار خشية افتضاح إمارات الجريمة على وجوههم ؛ لذلك أفصح القرآن لنا زمن المواجهة بهذه الفاجعة ليعقوب عليه السلام بقوله تعالى: وجاءو أباهم عشاء يبكون"

Scanned with CamScanner

(16) وقد حرص القرآن على ذكر الزمن الذي دبرت فيه الجريمة وهو العشاء، فذكر الزمن في القرآن يكون مرتبطا بالهدف وهو العبرة دون اقتصار على مجرد المعرفة التاريخية . فقوله تعالى: ثُم بدا لَهم من بعد ما رأو آلايات لَيسجننه حتى حينٍ، (17) وقوله: فَلبثَ في السجن بِضع سنين ، (18) يدل على أن هذه المحنة محنة السجن مع امتدادها لم تنل من إيمان نبينا يوسف عليه السلام، ولم تزعزع من ثقته بربه ورضاه بحكمه : فلقد كان في سجنه داعية إلى الله بين أصحابه المسجونين ، يكشف لهم الطريق إلى الخالق جل علاه ويجلي من على قلوبهم ظلم الضلال والزيغ والكفر ، فهذه الجزئية من الزمن لها دلالتها العظيمة في الكشف عن معدن هذا النبي وما في نفسه من إيمان قوي بالله، ولو افتقدنا هذا الزمن لافتقدنا هذا الإحساس وتلك المشاعر وهذا التعاطف بيننا وبين هذا النبي وما في نفسه من رصيد عظيم من الصبر والإيمان (19)

أما حينما نرى إلى قصص القرآن المعجزة من الناحية المكانية فيه نجد إن القرآن الكريم ينظر ذلك: المكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان ،فهو لا يعنى بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه ، أو يقم شواهد العظة والعبرة منه ، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض المقصود من القصة ، وتهب منه على الحدث سمات وأشعة ، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة تفتقدهما الحادثة إذا هي لم تجيء في صحبة المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به وفي قصة يوسف عليه السلام ذكر المكان عندما احتيج إلى أثره المباشر في نمو الحدث من ذلك : الجب لأثره في محنة يوسف وتسخير الله من أنقذه منه كما ذكر مصر ليشعرنا بتلك الغربة التي سيكابدها يوسف عليه السلام بعيدا عن بلده فضلا عن كونها مسرحا للأحداث التي نمت من خلاله ، وذكر بيت العزيز الذي تعرض فيه لأصعب محنة مع امرأة العزيز ، والسجن الذي تبين فيه إيمان يوسف وصبره وشخصيته المستعلية على الشهوة والداعية إلى عقيدة التوحيد ، والعرش الذي دل على منصب يوسف عليه السلام، والبادية وهي المكان الذي كان فيه يعقوب وبنوه بدوا يتنقلون فيه ويعانون من شغف العيش وهو الأمر الذي يدفعهم إلى الذهاب لمصر و طلبهم إيفاء الكيل والتصدق عليهم. فالزمان والمكان لهما مكانة مناسبة بين قصص القرآن. (20)

1- المفأجاة:

تتنوع المفأجاة علي صور مختلفة، فقد يكتم سر المفاجأة عن البطل والنظارة حتى يكشف لهم معاً فى آن واحد كما في قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح فى سورة الكهف فهى تجري على الشكل التالى "وإذ قال موسى لفتاه" (21) إلى آخر القصة. تقرأ القصة هنا كلها تقف أمام مفاجآت متوالية لا نعلم لها سراً وموقفنا منها كموقف بطلها موسى بل نحن لا نعرف من هو الذى يتصرف تلك التصرفات العجيبة، ولا ينبئنا القرآن باسمه تكملة للجو الغامض الذى يحيط بنا. ثم يأخذ السر فى التجلي، فيعلمه النظارة حين يعلمه موسى "أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر." الخ.(22)

البطل والنظارة فى آنٍ واحد ويعلمان سرها فى الوقت ذاته وذلك كمفاجأة قصة مريم حين تتخذ من دون أهلها حجاباً فتفاجأ هناك بالروح الأمين فى هيئة رجل فتقول "إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً" (23) نعم أننا عرفنا قبلها بلحظة أنه "الروح" ولكن الموقف لم يطل فقد أخبرها " قَال إِنمَا أَنَا رُسول ربكِ لأَهب لَك غُلاَما زَكِيًا."(24). فأسلوب المفأجاة في قصص القرآن تجلب العقول و تسحر القلوب.

خاتمة

فمن خلال دراسة قصص القرآن يمكن لنا أن نستنتج أن القصص القرآنية تشتمل على أدب و بلاغة يحيط اللفظ والمعنى كلهما وتتجلى فيه أصناف البلاغة المتنوعة من البيان والمعاني والبديع بأعلى درجة وقصص القرآن تهدف إلى غرض نبيل وهو اصلاح البشر وهداية الناس إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة وهذا الأسلوب الهدفي و التعميري لا يوجد فى عامة القصص الفنية المستهدفة إلى المتعة أكثر من المنفعة و كذلك قصص القرآن ترشد إلى

Scanned with CamScanner

أسباب الهلاك والدمار للإنسان سواء كانت فى العقيدة أو العبادة أو السلوك أو فى المعاملات والقصة الفنية لا تتعرض لهذه الجهات الصالحة. وكذلك رأينا أن جميع تقنيات القصة الفنية موجودة في قصص القرآن بأتم كمالها و قد تتراءى فيها الحبكة و الشخصية و الحوار و الصراع و الزمان والمكان والمفاجاة بأسمى أسلوب . وإذا لاحظنا في القصص القرآنية من جميع هذه الجوانب السابقة نتوصل إلى معرفة إعجازها النادر و نشهد بأن كلام البشر لن يكون أبداً ككلام الله سبحانه.

هوامش المراجع والمصادر

1- أدب القصة في القرآن الكريم دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، د.عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية - الإسكندرية ، سلسلة الدراسات القرآنية (1) ، ٢٠٠٠ م، ص.134

2- الفن القصصي في القرآن ،ص.٢٨٨

3- المصدر نفسه، ص.٢٨٨

4- الجانب الفني في القصة القرآنية، خالد أحمد أبو جندي ،دار الشهاب ، باتنة، ص.١٥١

5- أدب القصة في القرآن الكريم ،ص.١٩١

6- سورة يوسف ، الأية ١٧٠ وينظر:السورة نفسها ،ص.٩٤

7- أدب القصة في القرآن الكريم، ص ١٥٤.

8- . سيكولوجية القصة فى القرآن الكريم، نقره، التهامي. ط . 2 تونس: الدار التونسية، 1987هـ، ص516.

9- دروس وعظات وعبر فى قصة يوسف عليه السلام،عبد القادر،عبد الرحمن.. ط1الإسكندرية: دار الإيمان،2003ء ص.6

10- سورة يوسف، الأية ٤

11- سورة يوسف، الأية ٥ .

12- أدب القصة في القرآن الكريم، ص.٢٣٢

13- المصدر نفسه،ص. ٢٣٢

14- بكري، الدكتور أمين. التعبير الفني في القرآن الكريم. ط. 2بيروت: دار الشروق، 1976م، ص221

15- جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس،القاهرة،١٩٨٣م، ص ٢٢-٢١

16- سورة يوسف،الأية.١٦

17- سورة يوسف،الأية.٣٥

18- سورة يوسف،الأية.٤٢

19- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ص.٨٨-٨٧

20- البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية ، د. عمادعبد ، ط ٢٠٠٩ ص:336

21- سورة الكهف: 61

22- سورة مريم:7

23- مريم:18

24- سورة مريم:19

قال ابن القيم رحمه الله :(إذا عطش قلبك فلا تسقه إلا بالقرآن، وإذا استوحش فلا تؤنسه إلا بذكر الرحمن، فمن أوى إلى الله آواه، ومن فوّض أمره إلى الله كفاه، ومن باع نفسه إلى الله اشتراه، فطوبى لمن آواه ربه وكفاه واشتراه فرضي عنه وأرضاه)

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

الأصوات ومعانيها عند ابن جني

د.أزاد أحمد الندوي[3]
azadahmadfa@gmail.com

برزت مسألة صلة الأصوات بمعانيها أمام علماء العربية منذ بدأوا بالمشاركة العلمية ومنها الحركة اللغوية على مختلف المستويات، قد مال أكثر اللغويين إلى القول بالصلة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله لما رأوا في اللغة العربية من ميزات قلما تجمع في غيرها من اللغات، كما ذكر الفيلسوف اللغوي اليوناني ابن جني في كتابه"الخصائص" :"لو أحست العجم بلطف صناعة العرب في هذه اللغة وما فيها...الرقة والدقة،لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلا التقديم لها والتنويه منها"[1] وأضاف قائلا لجواب السؤال الذي سئل عنه لوعرفت العرب في حسن لغة العجم وسداد تصرفها وعذوبة طرائقها، وذلك "أنا نسئل علماء العربية ممن أصله عجمي وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما، بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده في نفسه، وتقدم لطف العربية في رأيه وحسه"[2] يمثل القرن الثاني الهجري البدايات الرائدة لإدراك صلة الأصوات بالمعاني حيص يجد إشارات الصلة بين اللفظ ومدلوله عند الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذ سيبويه."اعلم أن من كلام العرب اختلاف اللفظين لاختلاف المعنين" ففي القرن الثالث الهجري فسر المعتزلة الظواهر اللغوية تفسيرا عقليا فقد نسب السيوطي إلى عباد ابن سليمان اليصمري من المعتزلة أنه يرى أن بين اللفظ ومدلوله صلة طبيعية، واحتج بأن الألفاظ إزاء المعاني لم توضع اعتباطا[3] وإنما اختار لكل لفظ معناه الذي توحي به أصواته.

ويعد ابن جني رائدا في القرن الربع الهجري في دراسته الدلالة الصوتية، فقد فطن لهذا النوع من الدلالة وبلور مفهوم الصلة بين اللفظ ومدلوله، إذ وجدناه في كتابه"الخصائص" يولي اهتماما كبيرا للدلالة الصوتية، حيث نراه أنه يخصص لها حيزا واسعا، وقد تناولها بالبحث والدراسة في عدة أبواب منه مثلا باب في الاشتقاق الكبير، وباب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وباب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني، وسوى ذلك مما جاء متفرقا في أبواب الكتاب، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الدلالة الصوتية عند ابن جني نجدها تحت اسم الدلالة اللفظية، وتعد عنده من أقوى الدلالة حيث يقول: "اعلم أن كل واحد من هذه الدلالات معتد مراعي مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب، فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية"[4] فلكل دلالة من هذه الدلالات دورها الفعال في تحديد المعنى، ولهذا يجب أن تأخذ كلها في الحسبان، إلا أن الدلالة الصوتية أي الفظية عند ابن جني تعد أقوى من الدلالتين الصناعية والمعنوية، وأرجح سبب قوة الدلالة اللفظية عن باقي الدلالات الأخرى إلى أن معرفتها تتوقف على الأصوات المكونة للكلمة."ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره"[5] فقام مثلا بوحداتها الصوتية تدل على القيام، أي أننا وقفنا على الحدث من خلال لفظ الفعل، وهكذا كل فعل بأصواته يؤدي معنى الحدث "فالضرب والقتل نفس اللفظ يفيد الحدث فيهما"[6] أي أن كل واحد منهما يدل على حدث مغاير للآخر تبعا لاختلاف لفظيهما أي أصواتهما.

ويمكن تقسيم الدلالة الصوتية عند ابن جني إلى قسمين:

القسم الأول: الدلالة الصوتية الطبيعية: وهي ما تؤديه الأصوات الصادرة عن مظاهر الطبيعة المختلة، كذلك أصوات الإنسان والحيوان من أدوار في تحديد المعنى، فهي ذات علاقة بنظرية محاكاة لأصوات الطبيعة في نشأة اللغة أو ما يعرف بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول.

والقسم الثاني: الدلالة الصوتية التحليلية، وهي تلك الدلالة التي تستنبط من:أ- دلالة الفونيمات التركيبية (segmental phonemes) الحروف أي الصوامت (consonants) والحركات أي الصوائت (vowels) ب- دلالة الفونيمات غير

---

[3] المحاضر في المدرسة الثانوية العالية الحكومية، ببلوامة

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

التركيبية (suprasegmental phoneme) مثلا النبر والتنغيم، وغيرها من الأداءات الصوتية المختلفة. فالدلالة الصوتية إذا هي التي تستمد من طبيعة أصواتها ومظاهر هذه الأصوات كالنبر (stress) والتنغيم (intonation).[7]

فالأول الدلالة الصوتية الطبيعية: والمقصود منها هي الدلالة بين الدال والمدلول التي ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية محاكاة ولتقليد أصوات الطبيعة في نشأة اللغة وأصلها، وهي نظرية بنيت على أساس وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه كمحاكاة الأصوات مثلا "القهقهة" حكاية أصوات الضحك، و"غاق" حكاية أصوات الغراب.

وقد تفحصنا كتب اللغويين ووجدنا طائفة منهم أنهم اكتشفوا صلة الأصوات بينها وبين معانيها وذهبوا إلى أن العربي بطبيعته كان يربط بين الصوت والمعنى، فيختار لكل لفظ حرفا ذا صفة تشاكل معناه وتناسبه من حيث القوة والضعف، ومن ذلك كلمنا "القضم" و"الخضم" فكلاهما للأكل، ولكنهما اختلفنا في حرف واحد، واختيرت القاف القوية الشديدة للقضم، لأن معناه أكل الصلب اليابس، واختيرت الخاء الرخوة للخضم، لأن معناه أكل الشيء الرطب كالقثاء والبطيخ بمناسبة الخاء."[8] وبعد التأمل والتفكر في هذه النظرية وجدناها مما لا مراء فيها"أنها تقول بتقليد أصوات الطبيعة في نشأة اللغة الإنسانية وأصلها، فهي في نظرها جاءت محاكاة لصدى لمسموعات من عوارض الطبيعة كالريح والرعد والماء وأشياء الكائنات الحيوانية"[9] والمذهب الطبيعي الذي تقبله الفيلسوف اليوناني ابن جني واطمأن إليه إذ يقول:"أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، ونزيب الظبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد"[10] وذهب إلى هذا المذهب الطبيعي متقدموه من العلماء اللغويين البارعين كالخليل وسيبويه، فنقل عنهم بعض الأقوال التي تؤيد ما ذهب إليه، وتبين صحته يقول"اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول والاعتراف بصحته، قال الخليل:كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومد، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر"[11] ومن خلال النص السابق يتضح لنا أن ابن جني يعترف صراحة بأن هذه الفكرة التي أوردها حول التقابل بين الألفاظ وما تدل عليه من الأحداث هي من ابتكار الخليل وتلميذه سيبويه، إلا أنه استطاع أن يكتشف بحسه المرهف وذكائه الوقاد أشياء كثيرة تتقابل فيها الألفاظ وما تدل عليه من الأحداث، أو ما يعرف بالعلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول إذ يقول:"ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حداه ومنهاج ممثلاه"[12] إذ نراه يكتشف ألفاظا وصيغا كثيرة تتقابل معنويا ومجريات أحداثها، ولو لم ينبه على ذلك إلا بما جاء عنهم من تسميتهم الأشياء بأصواتها، كالخازباز لصوته، والبط لصوته...والواق للصرد لصوته، وغاق للغراب لصوته، لكان ذلك دليلا كافيا على صحة هذا المذهب، كما نراه يأتي بأمثلة توضح اشتقاق العرب من الأصوات كاشتقاقهم:حاحيت،وعاعيت، وهاهيت، إذا قلت: حاء، وعاء، وهاء، وهي أصوات الزجر للحيوان، وقولهم: بسملت، وهيللت، وحوقلت، كل ذلك وأشباهه، إنما يرجع في اشتقاقه إلى الأصوات، والأمر في هذا واضح وأشرابه واسع."[13] وإن من الأمثلة التي تحاكي بأصواتها مجتمعة أصوات الطبيعة وأحداثها، وتنوعها، جعل أبا الفتح متأكدا من صحة ما ذهب إليه، واثقا من أنه ما وضع الأمر إلا في موضعه، فإذا ما استنكر مستنكر هذا المذهب، فالأحرى به"أن يتهم الإنسان نظره، ولا يعجل إلى ادعاء النقض فيما قد ثبت الله أطنابه، وأحصف بالحكمة أسبابه"[14].

ومن الأمثلة التوضيحية السابقة الكثيرة التي استشهد بها ابن جني على صحة ما ذهب إليه توصل إلى أن ثمة الكثير من هذه اللغة يحاكي بأصواته موجودات الطبيعة، وقد عرفت هذه النظرية فيما بعد بنظرية المحاكاة الصوتية.(onomotopeia)

والثاني: الدلالة الصوتية التحليلية : والمقصود بها تلك الدلالة الصوتية التي تتحقق جراء إلى الإحلال بين الصوامت والصوائت أي الحروف والحركات، المختلفة أو ما يعرف بالفونيمات التركيبية أو تستنبط من خلال مختلف الأداءات الصوتية التي اصطلح عليها بالفونيمات الثانوية باعتبارها ملامح صوتية غير تركيبية مصاحبة تمتد عبر أطوال متنوعة في الأداء الصوتي، وتشارك في تنوع معاني الكلام مثلما تشارك فيه الأصوات التركيبية، وذلك مثل النبر والتنغيم والوقف.

Scanned with CamScanner

دلالة الأصوات التركيبية:يطلق العلماء على الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة الصوت المقطعي الأولى أو الصوت التركيبي، و"يشمل الصوت التركيبي ما يسمى بالسواكن والعلل وهي تعد جزئيات صوتية تستخدم في تركيب الحدث الكلامي"[15].

أما الأصوات الدلالية غير التركيبية فهي تنقسم إلى قسمين:

أ - الدلالة الصوتية للصومت: إن تقبل ابن جني لمذهب المحاكاة في نشأة اللغة، وثقته العميقة في هذا المذهب الذي يقول بأن اللغة نشأت محاكاة لأصوات الطبيعة، جعل الباب أمامه مفتوحا عل مصراعيه للبحث فما هو أدق من حكاية الأصوات المسموعة، فقد انتقل إلىدراسة الدلالة الصوتية للحرف ومن ثم للحركة، ويتجلى لنا ذلك بوضوح فيما ذكره ابن جني في معرض حديثه عن نشأة اللغة قائلا أنه وجد "كثيرا من هذه اللغة مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها"[16] فقد لاحظ ابن جني أن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار فكأن هناك اختيارا مقصودا للصوت ليؤدى المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الآخر، وهذا يؤكد أن ابن جني لم يكن واضعا في حسبانه معالجة حكاية الأصوات الطبيعية فحسب، بل كان مشغولا إلى جانب ذلك بإبراز القيمة البيانية للحرف العربي معتمدا في ذلك على مخرجه وصفاته، ولتوضيح ذلك ساق أبو الفتح مجموعات من الأمثلة مما توحد معنى، وتماثل مبنى إلا من مخرج واحد نحو "السين والصاد" و"الطاء والدال والتاء" و"الحاء والخاء" أو من مخرجين متقاربين نحو" الخاء والحاء" كل ذلك استسره ابن جني عند تخيره لأمثلته ليساعده على استجلاء وظيفة القيم الخلافية ودلالتها الصوتية في تنويع المعنى الواحد.

ومن أمثلة إمساس الألفاظ أشباه المعاني عرضها أبو الفتح وحللها: "قضم،خضم" و"صعدسعد" و"سد،صد" و"قسم قصم" يقول في قضم وخضم "ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى والصوت الأضعف للفعل الأضعف"[17] فدلالة الفعلين قضم وخضم مستوحاة من خصائص الصوت، فالقاف والخاء يقتربان في المخرج، فالقاف شديد انفجاري والخاء رخو احتكاكي فالشدة والرخاوة هما اللتان حددتا المعنى عند ابن جني يقول معللا ذلك"فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب والقاف لصلابتها لليابس حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[18].

فيرى ابن جني علاقة وثيقة بين القاف الشديدة التي تنشئ الصوت عن أكل اليابس كما يرى صلة واضحة بين الخاء الرخوة التي تنشئ عن أكل الرطب، ومن ذلك "قولهم: صعد وسعد، فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما في أثر مشاهد يرى وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفهالما لا يظاهر ولا يشاهد حسا، إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجد لا صعود الجسم، ألا تراهم يقولون: هو سعيد الجد، وهو عالي الجد، وقد ارتفع أمره، وعلا قدره، فجعلوا الصاد لقوتها، مع ما يشاهد من الأفعال المعالجة المنجشمة، وجعلوا السين لضعفها، فبما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية"[19] كما يوضح السين والصاد في المعنى بين الفعل قسم وقصم،"ومن ذلك القسم والقصم،فالقصم أقوى فعلا من القسم، لأن القصم يكون معه الدق، وقد يقسم بين الشيئين فلا ينكأ أحدهما، فلذلك خصت بالأقوى الصاد، بالأضعف السين"[20].

كما نشاهد هذين الحرفين في الوصيلة والوسيلة، إذ يقول: "ومن ذلك قولهم: الوسيلة والوصيلة، الصاد أقوى صوتا من السين، لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة، وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها من اتصال الشيئ بالشيئ، زمماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له، كاتصال الأعضاء بالإنسان، وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزءا أو كالجزء من المتوسل إليه، وهذا واضح فجعلوا الصاد لقوتها، للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعنى الأضعف"[21] وكذلك قوله"تركيب ق ط ر، و ق د ر، و ق ت ر،فالتاء خافية مستفلة والطاء سامية متصعدة، فاستعملتا لتعاديهما في الطرفين، كقولهم: قتر الشيئ وقطره، والدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا نزول الشيئ لجماعه ومحرنجمه"[22].

وقد رأينا ابن جني أنه وقف عند صفتي الاستعلاء والاستفال فحسب، ليرتب هذه الحروف من حيث القوة والضعف والتاء، فكانت لذلك واسطة بينهما، فعبر بها عن معظم الأمر ومقابلته، فقبل قدر تناسب ذلك مع المعنى، ويقول في

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

تخصيص القد للقطع طولا والقط للقطع عرضا،"ومن ذلك القد طولا والقط عرضا، وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعا من الدال فجعوا الطاء المناجزة لقطع العرض، لقربه وسرعته، والدال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولا"[23] فالطاء والدال كلاهما حرف شديد يمنع الصوت أن يجري فيه، ولعل الإطباق في الطاء جعلها أحصر للصوت وأسرع قطعا من الدال، هكذا استطاع ابن جني بتحليله لما عرضه من أمثلة مما تقارب صوتا ومعنى، أن يتحسس دلالة صوتية طبيعية تتسرب من الحرف، تنجم من القيم الخلافية للأصوات، كصفات الرخوة والشدة، والهمس والجهر، والإطباق والانفتاح، والاستعلاء والاستفال، هذه الصفات أكسبت الحروف قيما تعبيرية، وكان العربي قد أدرك ذلك بحسه اللغوي فوظف هذه القيم التعبيرية في محاكاة أصوات الأحداث والمعاني التي تعبر عنها، واختار الحرف الأقوى فيزيولوجيا ليدل الحدث الأقوى، وفي ذلك ما يؤكد العلاقة الطبيعية بين الدال والمدلول.

والفيلسوف اليوناني يرى أبعد من الدلالة الصوتية للحرف، فقد وجد أن الحروف ترتب في اللفظ ترتيبا يساوق الحدث الذي تعبر عنه، ويقول: "وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي اخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب"[24] ومن تحليله من الأمثلة: بحث، شد، جر، يقول في بحث مبينا كيف رتبت فيها الأصوات على سمت المعنى، وكيف تم تقديم ما يضاهي اول الحدث، وتأخير ما يضاهي اخره وتوسيط ما يضاهي أوسطه، وذلك سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود، إذ نراه يقول: "بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد، وبرثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا"[25] فصوت الباء وصوت الحاء وصوت الثاء في الفعل بحث، فالباء لغلظها مجهورة لأن "الباء صوت شفوي انفجاري مجهور، وعند النطق به يقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفا تاما عند الشفتين، إذ تنطبق هاتان الشفتان انطباقا كاملا، ويضغط الهواء مدة من الزمن، ثم تنفرج الشفتان فيندفع الهواء فجأة من الفم، محدثا صوتا انفجاريا، ويتذبذب الوتران الصوتيان أثناء النطق"[26] كما يذكر في شد "من ذلك قولهم شد الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد والجذب،وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين، ولا سيما مدغمة، فهو أقوى لصنعتها، وأدل على المعنى الذي أريد به"[27] وقد نبه ابن جني نهاية تحليل هذه الأمثلة إلى مسألة مهمة، وهي التطور الدلالي الذي يمكن أن يعتري بعض ألفاظ اللغة مع طول العهد، فتنأى بذلك هذه الألفاظ عن دلالته الأولى، وتنفك عرى العلاقة بين الدال والمدلول، مما ينجم عنه تعذر اكتشاف علاقة واضحة بين اللفظ ومدلوله،كما نراه أنه يقول هنا "أحد أمرين: إما أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصير أسبابها دوننا أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"[28] وقد اهتم هذا الفيلسوف باستجلاء التقارب الصوتي في الألفاظ ذوات المعاني المتقاربة، وقام بدراسة هي أقرب إلى التحليل لجمهرة من ألفاظ العربية مما تقاربت ألفاظه لتقارب معانيه، ودافعه إلى ذلك شيوع هذه الخصيصة، واتساع بابها وسماها "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"حيث يقول: "هذا غور من العربية لا ينتصف منه ولا يكاد يحاط به، وأكثر كلام العرب عليه، وإن كان غفلامسهوا عنه"[29].

لقد اكتشف أسباب التشابه الصوتي بين هذه الألفاظ على اثنين: أولهما: انسجام الحرف انسجاما كليا أو جزئيا، وثانيهما: تضارع حروف اللفظين المتصاقبين، ومهما تباينت أشكال هذا التقارب وتعددت وجوهه، فهو لا يخرج عن كونه انسجاما في حروف اللفظين أو تضارعا، وانسجاما في بعضها وتضارعا في بعضها الآخر، فالأول: الانسجام في الحروف، له قسمان انسجام كلي وانسجام جزئي، أما الانسجام الكلي، فيقصد به أن تكون الحروف التي تشكل الكلمة متفقة بغض النظر عن ترتيبها، ويتجلى لنا هذا بوضوح فيما يعرف بالاشتقاق الكبير الذي يقوم على نظام التقليبات بأوجهها المختلفة للأصل الواحد، نحو تقاليب ملك كلم وكمل مكل [30] وتقاليب الأصل الواحد ينتظمها معنى عام حسب مفهوم الاشتقاق الكبير، وهذا القسم من التصاقب أكثر أقسام التصاقب اتساعا، فهو قائم في تقاليب كل ما تألفت حروفه من الأصول الثلاثية، أما الجزئي فذلك بأن يشترك اللفظان بأكثر حروفهما لا بجميعها وذلك واضح فيما تداخل من الأصول الثلاثية فيما بينها،والثلاثية والرباعية، والرباعية والخماسية، فمما تقارب من الأصول الثلاثية،[31] معنى ولفظا فتداخل"ضياط

Scanned with CamScanner

وضيطار، ورخو ورخود... فضياط من ض ي ط وضيطار من ض ط ر، والضياط المتمايل في مشيته، وقيل الضخم الجنبين، والضياط التاجر، والضيطار العظيم، وقيل الضخم الضخم اللئيم، والضيطار التاجر"[32] وهكذا تركيب رخو من ر خ و، وتركيب رخود من ر خ د، فهما متفقان فاء وعينا، ومختلفان لاما، والرخو، الضعيف والرخود، المثنى والمثني عائدإلى معنى الضعف.[33] ومما تقارب من الأصول الثلاثية والرباعية فتداخل معناه سبط وسبطر ودمث ودمثر وفي هذه الحال ونظائرها تكون حروف الثلاثي محتواة في الرباعي، فـ سبطر احتوى حروف الأصل الثلاثي سبط وزادت الراء، ودمثر تضمن الأصل الثلاثي دمث اللين والسهل، وزادت الراء، وأما عن تقاربهما معنى فالسبط نقيض الجعد، وشعر سبط مسترسل، وسبط ، القصب الممتد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء والسبطر الممتد واسبطرت امتدت واستقامن، ومنها الدماثة سهولة الخلق، والدمثر السهل، وأرض دمثر سهلة.[34]

ما انسجم بعض حروفه وتضارعت الأخرى،وهو على نوعين: ما انسجم فيه الحرفان وتضارع الثالث، وما تضارع فيه الحرفان وانسجم الثالث، فمثال ما انسجم فيه الحرفان وتضارع الثالث: أز وهز، وعسف وأسف، حبس وحمس، وقد رأينا ابن جني أنه تناول هذه الأصول المتقاربة بشيئ من التحليل ليكشف عن وشائج الصلة بينها، معتمدا في ذلك على حسه اللغوي وخبرته بالحرف العربي صوتا ومخرجا وصفة، يبين تقارب أز وهز، "ومن ذلك قول الله سبحانه ألم ترى أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا، أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزهم هزا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنين، وكانهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لانها اقوى من الهاء "لما فيها من جهر تفتقر غليه الهاء، وهذا المعنى اعظم في النفوس من الهز، لانك قد تهز ما لا بال له، كالجذع، وساق الشجرة، ونحو ذلك"[35] فيرى ابن جني أن مجرد الاشتراك في بعض الحروف يكفي أحيانا للاشتراك في الدلالة، فالهز والأز متقاربان في المعنى وهما أيضا متقاربان في اللفظ، وعلى هذا السمت مما سواها، ومثل ما تضارع فيه الحرفان وانسجم الثالث، وذلك سجل صهل يوضح الفيلسوف تقارب السهيل والصهيل وقد تقع المضارعة في الأصل الواحد بالحرفين، نحو قولهم: السحيل والصهيل، كأن سحيله في كل فجر على أحساء يمؤود دعاء، وذلك من س ح ل، وهذا من ص هـ ل، والصاد أخت السين، كما أن الهاء أخت الحاء"[36] أما تضارعت الحروف فيقول ابن جني، إن المضارعة "بالأصول الثلاثية، الفاء والعين واللام، فقالوا: عصرالشيئ أي أزله إذا حبسه، والعصر ضرب من الحبس، وذلك من ع ص ر وهذا من أ ز ل، والعين أخت الهمزة، والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام"[37] وغيرها من أمثلة تصاقب أفل و غرب لتصاقب معنيهما الكثيرة في لغتنا هذه، وذكر الفيلسوف في كتابه الخصائص ليست هذه الصنعة سهلة،"وهذا النحو من الصنعة موجود في أكثر الكلام وفرش اللغة، وإنما بقي من يثيره ويبحث في مكنونه...وعز فهم مذهبا"[38] وقد وصلنا بعد إيراد الأمثلة المتتابعة التي حلله ابن جني من ألفاظ إلى القول أنه إذا كان التصاقب باديا في أمثلة المجموعتين الأولى والثانية، متجليا بألفاظها، فإنه يظهر باستحياء في أمثلة المجموعة الثالثة، وذلك راجع إلى افتقار اللفظين المتصاقبين من هذا الضرب إلى رابطة الصوتي الجرس ليشكل قاسما محسوسا مشتركا بين اللفظ يستشعر التصاقب لمجرد سماعه، والمضارعة وهي أن حروف المخرج الواحد المؤتلفة تدل على معان واحدة، بالاشتراك في معنى عام، والغرض من حروف المخرج الواحد ما هي إلا تشكيلات لحرف واحد، مثلا: حروف الحلق تشكيلات لحرف حلقي واحد، وكذلك حروف أقصى اللسان، ووسط اللسان، وحروف كل مجموعة من أحياز أدنى اللسان، والحروف الشفوية، وحروف المد واللين، وهذا يؤيد تنوع الأداء الصوتي في لهجات العرب وما فيها من عنعنة وقلب وإبدال، دون أن يؤثر ذلك في المعنى، والألفاظ التي توحدت مخارج حروفها يمكن أن تكون صورا صوتية متعددة لأصل واحد، فمن الطبيعي أن تشترك في المعنى العام.[39]

جوهر القول إن لكل حرف دلالة صوتية طبيعية تعطيه قيمة تعبيرية، وهذه القيمة التعبيرية ذات بعدين معنويين، الأول عام يكتسبه الحرف من المخرج الذي يحدده، والآخر خاص يتشكل من الصفات التي يتحلى بها الحرف من همس وجهر، وإطباق وانفتاح، واستفال، وشدة ورخوة، وهذا أن النقل من المعنى العام للفظ إلى معنى آخر يتطلب استبدالا فونيميا نوعيا كبيرا، أما تنويع المعنى وتخصيصه فيحتاج إلى استبدال في صفات الفونيم لا في نوعه، ويتم ذلك باستخدام فونيم آخر من المخرج نفسه، ولكل فونيم صفاته، فالخروج من المعنى العام كالإبانة والوضوح في فلق وفرق، وما إلى ذلك، إلى معنى عام آخر وليكن الاختفاء مثلا يحتاج إلى استبدال فونيمي نوعي كاستخدام فونيم حلقي بدلا من

Scanned with CamScanner

الفونيم الشفوي لا كل فونيمي حلقي مثلا غرق حرق...أما تنويع المعنى وتخصيصه دون الخروج من دائرة المعنى العام، فيتم باستبدال صفات الفونيم لا نوعه، ويتم ذلك باستخدام فونيم مناسب من المخرج نفسه، كأن استبدال بالفاء باء أو واو وهما حرفان شفويان من مخرج الفاء، فيصبح لدينا: بلق وورق، فالمعنى الخاص لكل منهما يختلف عن المعنى الخاص في فلق وفرق، ولكنه لا يخرج عن المعنى العام للإبانة والوضوح، ولا يمكن الزعم باطراده في الأصول كلها، ما لم تعضده دراسة إحصائية دقيقة، وذلك هو جوهر القضية.

2 دلالة الحركات البنائية: مما لا مراء فيه أن للحركات سواء طويلة أو قصيرة دورا فعالا في تحديد المعنى وتنويعه، إذ غالبا ما تصادفنا صيغ تتفق في عدد الصوامت وطبيعتها وترتيبها وحركاتها باستثناء حركة واحدة، إلا أن هذا الاستثناء يترتب عنه اختلاف دلالة المعنى المعجمي للمادة الواحدة، فالحركات لها دلالة صوتية، فهي ذات وظيفة فونيمية أقرب إلى وظيفة الحروف في تغيير معاني الكلمات، إذ الحركة صوت في الكلمة وجزء لا يتجزأ منها فحركة الحرف لا تنفصل عنه أثناء نطقه ولا عبرة بكتابتها منفصلة عنه، ومن ذلك كلمة سقط التي تدل على الولد ألقته المرأة لغير تمام، وتضبط الكلمة بضم السين وفتحها وكسرها، أي أن السين احتملت ثلاث من الصوائت القصيرة حدث بينها إحلال والدلالة واحدة، وقد رأينا في باب الصوامت إذا كان اختلافها بين الكلمتين، يؤدي إلى اختلاف الدلالة بينها، وكذلك الحال للحركات، ويقول تمام حسان مبرزا وظيفة الحركات أو العلل كما يسميها"أنها تتمثل في اعتبارها مناطا لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادة الواحدة فالفارق بين قنل قتيل مقتول وهلم جرا من مشتقات ق ت ل فرق يأتي في تنويع حرف العلة لا الحروف الصحيحة، ومن هنا تتحمل حروف العلة بالتعاون مع حروف الزيادة وموقعيه الكمية التشديد والمد أخطر دورا في تركيب الصيغ الاشتقاقية العربية"[40] فالحركات هي وحدات صوتية لها وظيفة معينة في التركيب الصوتي، لأنها جزء أساسي منه، فهي ليست ظواهر تطريزية، وإنما فونيمات أساسية أو أولية (primary phonemes) ودليلنا على ذلك أن الفتحة مثلا يمكن أن تكون مقابلا استبداليا للكسرة والضمة، كما في مترجم ومترجم، وكذلك للسكون في ضرب بتسكين الراء وضرب وفتح الراء"[41]

وقد فطن ابن جني معالجة هذا المقابل الاستبدالي غير مرة مبينا وظيفته الدلالية، فالإحلال بين الصوائت أي الحركات لا يختلف كثيرا في التأثير عن المعاني وتغييرها عن الإحلال بين الصوامت أي الحروف، يقول ابن جني في باب الدلالة اللفظية: "قولهم للسلم مرقاة بكسر الميم وللدرجة مرقاة بفتحها فنفس اللفظ يدل على الحدث الذي هو الرقي، وكسر الميم مما ينقل ويعتمل عليه وبه كالمطرقة، والمئزر، والمنجل...فتحة ميم مرقاة تدل على أنه مستقر في موضعه كالمنارة والمثابة"[42] ونحو من ذلك قولهم"مفعل بفتح الميم وبكسرها... وذلك أن مفعلا يأتي للمصادر، نحو ذهب مذهبا، ودخل مدخلا، وخرج مخرجا، ومفعلا يأتي للآلات والمستعملات، نحو: مطرق، ومخصف، ومروح، ومئزر"43 وهذا تبدو الوظيفة الدلالية للحركة أيضا في قولهم: القوام بفتح القاف والقوام بكسر القاف، فالمعنيان اختلفا باختلاف الحركة فالأولى بمعنى "الاعتدال في الأمر، ومنه قولهم جارية حسنة القوم، إذا كانت معتدلة الطول والخلق ذلك قواما أي ملاكا للأمر ونظاما وعصاما"[44] وبتأمل هذه الأمثلة التي تلمس العلاقة بين الحركات ودلالة الكلمة، لا نعدم علاقة طبيعية بين الحركة المختارة ودلالة الكلمة، وهكذا تبدو الحركة قيمة استبدالية ذات وظيفة دلالية طبيعية.

لقد تحدث االفيلسوف ابن جني عن محاكاة الحركات الحدث المعبر عنه، فنقل عن سيبويه قوله في المصادر التي جاءت على الفعلان "إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقزان، والغليان، والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال"[45] وكذا حال الحركات في فعلى، يقول ابن جني "ووجدت أيضا الفعلى في المصادر والصفات، إنما تأتي للسرعة، نحو: البشكى، والجمزى والولق"[46] ويصل من ذلك إلى نتيجة يقرر فيها أنهم جعلوا"المثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها"[47].

وصفوة القول أن الأمثلة السابقة تبرز كيف يدل الحرف بصوته على معناه مفردا ومركبا، وأن للصوت سواء كان حرفا أو حركة قيمة دلالية وعلاقة طبيعية بين الدال والمدلول، ولكن إدراكها لا يتيسر إلا لمن خبر أصوات العربية، واستحضر خصائصها الطبيعية والوظيفية، كما استطاع الفيلسوف اللغوي العبقري ابن جني أن يؤكد أن "لمقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم"[48].

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

الهوامش و المراجع

1 ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الهدى، بيروت، 243/2
2 المصدر نفسه، 244/2
عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، الأردن، ص 166
4 ابن جني: الخصائص، 98/3
5 المصدر نفسه،101/3
6 نفس الصفحة.
7 السيوطي: المزهر المطبعة السنية، ط صبيح 1282 هـ.
8 ابن جني: الخصائص، 161/2
9 د.عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ص 166
10 ابن جني: الخصائص، 46/1 47 .
11 المصدر نفسه، 152/2 .
12 المصدر نفسه، 153/2.
13 المصدر نفسه، 165/2.
14 المصدر نفسه، 165/2.
15 د.أحمد مختار عمر: الأصوات اللغوية، عالم الكتب، ط1991م،ص 219.
16 ابن جني: الخصائص، 165/2.
17 نفس المصدر، 165/2.
18 المصدر نفسه، 161/2.
19 نفس المصدر، 161/2.
20 نفس المصدر، 160/2.
21 المصدر نفسه، 162/2.
22 المصدر نفسه، 158/2.
23 المصدر نفسه، 163/2.
24 المصدر نفسه، 163/2.
25 نفس المصدر، 162/2 163.
26 د.كمال بشر: علم اللغة العام، علم الأصوات، ص 101.
27 ابن جني: الخصائص، 163/2.
28 نفس المصدر، 164/2.
29 المصدر نفسه،145/2.
30 المصدر نفسه،146/2.
31 المصدر نفسه، 45/2 147.
32 ابن منظور: لسان العرب، ط بولاق 1956 م.
33 ابن جني: الخصائص، 44/2 45.
34 ابن منظور: لسان العرب، ط بولاق 1956 م.
35 ابن جني: الخصائص، 146/2.
36 المصدر نفسه، 145/2 150.
37 المصدر نفسه، 150/2.
38 المصدر السابق،150/2.
39 د. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ص/ 211و 170.
40 د.تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط 4، عالم الكتب، 2004م، ص 71 73.
41 د.عبد الكريم مجاهد: الدلالة اللغوية عند العرب، ص 166 167.
42 ابن جني: الخصائص، 100/3.
43 نفس المصدر، 224/1.
44 ابن جني: المحتسب في تبيين شواذ القراءات الإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شبلي، المجلس الأعلى للشؤون
45 ابن جني: الخصائص، 152/2 155.
46 المصدر نفسه، 153/2.
47 نفس المصدر، 152/2 154.
48 نفس المصدر، 158/2.

Scanned with CamScanner

مدارس جامو وكشمير الإسلامية وخدمات علمائها في تطوير اللغة العربية وآدابها

سجاد أحمد الندوي[4]
Ahmedsajjad403@gmail.com

إن المدارس الإسلامية قلاع دينية حصينة لمسلمي العالم كله يحافظ فيها على الدين الإسلامي وعقيدته الحنيفة السمحاء الغراء ورسالته السرمدية الصالحة لكل عصر ومصر وزمان ومكان وعلى علومه الإسلامية ومصادره ومراجعه الأساسية وهي مصانع تعد الدعاة والمبلغين وأمناء الأمة وعلمائها ووعاظها وخطبائها و هي مراكز ومعاهد تتفجر منها أشعة النور والمعرفة و تطلع منها شمس العلم والعرفان وتتدوى فيها نغمات التوحيد ويتخرج فيها حفاظ للقرآن العظيم تتدوى بتلاوتهم الأجواء ولا يصدر منهم إلا الخير في كل مجال من مجالات الحياة البشرية، وتربى العلماء والساسة والأدباء والخطباء والفلاسفة والدعاة والأئمة الذين حموا عن حوزة الإسلام حماه في الأدوار المختلفة والعصور المتنوعة بكل حماس ونشاط بالغين وشجاعة نادرة فذة لا نظير لها في تاريخ العالم كله مضيحة بأرواحهم وأنفسهم وأولادهم وأموالهم في سبيل الدين وحمايته ورسالته وأصبحوا سداً منيفاً في وجه الاستعمار والأفكار والمنظمات الإلحادية والاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك من الحركات والمنظمات الهدامة العالمية الأخرى غير محتفلين بمصيرهم مرشدة جمهور المسلمين إلى الطريق الحق والصراط المستقيم منبهة إلى أخطاءهم وانحرافاتهم وهفواتهم وزلاتهم قائمة بإبطال المبطلين وانتحال المنتحلين ومقومة إعوجاجهم.

ومما لاشك فيه أن المدارس الإسلامية قد لعبت دوراً هاماً فعالاً ملموساً في تعليم المسلمين وتربيتهم تربية دينية وتصقيلهم وتثقيفهم بالثقافة والأخلاق الإسلامية والخصائل الحميدة وتنوير عقولهم بنور العلم والمعرفة وتحليهم بحلي العلوم الإسلامية والفنون الأدبية وتكوين مجتمعاتهم مجتمعات دينية ممتازة فريدة من نوعها فيها المحبة والشفقة للصغار وفيها التعظيم والتوقير والتكريم للكبار وفيها المواسات والمساوات وفيها الأخلاق الفاضلة وفيها النصيحة لله ولكتابه ولسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم، وفيها الصدق وفيها الخير وفيها الإنسانية.

وهي لا تزال تقوم بدور قيادى وريادي في مجال التعليم والتربية والدعوة والتبليغ والوعظ والإرشاد في كل بقعة من بقاع الأرض وأرجائها وتبلغ رسالة الإسلام السرمدية الشاملة على شعبة من شعب الحياة البشرية العادية إلى كل خير وسلام وأمن وأمان وتحافظ على حوزته وحضارته وتروجها بين المسلمين في العالم كله فهي أمينها وبقاء حياة المسلمين رهين بها.

ولأجل أهميتها القصوى وعظمتها الفائقة اهتم المسلمون في العالم بتأسيسها قديماً وحديثاً غاية الاهتمام ولم يدخروا في ذلك وسعاً، ووضعوا مناهجها الدراسية طبقاً لمقتضيات العصور والأزمان والمجتمعات ووفقاً للأوضاع والظروف.

كذلك لأجل أهميتها القصوى وعظمتها الفائقة اهتم بها مسلمو جامو وكشمير غاية الاهتمام ولما انتقل الأمير غلاب سنغ إلى دار البقاء وقرر ابنه الثالث الأمير رنبير سنغ، حاكماً مطلقاً لولاية جامو وكشمير وكان شغوفاً ومولعاً بالعلم فقد أسس كثيراً من المدارس والكتاتيب وإن كانت الدراسة الإنجليزية قد بدأت في عهد الأمير السابق غلاب سنغ لكن ما كانت بدأت المدارس والكتاتيب أمثال المدارس والكتاتيب المعاصرة وبدأ الأمير برتاب سنغ سلسلة المدارس وفق مناهج جامعة بنجاب الدراسية وأسس أول مدرسة ثانوية في جامو باسم رنبير سنغ.

يكتب نرسنغ داس نرغس في الجزء الثالث من كتابه "تاريخ دوغره ديس" في ص712 "كانت وفق مناهج جامعة

[4] الباحث بقسم اللغة العربية في جامعة بركة الله، بوبال الهند

Scanned with CamScanner

بنجاب الدراسية عشر مدارس فقط في 1890م.

1. مدرسة ثانوية.
2. مدرسة متوسطة.
3. وثماني مدارس ابتدائية.

وازداد الالتفات والإقبال على التعليم والدراسة شيئاً فشيئاً ونظمت الدراسة في 1892-1893م إلى الصف الثاني عشر وفي هذه السنة نفسها فتحت المدرسة الثانوية في سرينجر وكان عدد المدارس في 1901م سبعاً وثمانين ووصل هذا العدد في 1921م إلى خمس وسبعين مدرسة وأكد على ترغيب المسلمين إلى التعليم غاية التأكيد ومنح الطلاب المسلمون المنحة الدراسية الخاصة مع دعم المدارس الإسلامية مالياً ونظم لتدريس الطلاب المسلمين اللغة العربية في المدارس الرسمية وعين سبعة ومائة أستاذ عربي وفتحت للأساتذة المسلمين في 1916م في سوفور مدرسة لتدريب الأساتذة المسلمين على التدريس ثم قررت وظيفة المفتش المسلم الخاص في 1915م وكان من مسئوليات هذا المفتش ترغيب المسلمين إلى التعليم والدراسة، وقد كان سبق ذلك تعيين المفتشين لمراقبة المدارس والإشراف عليها[5] وبدأ في عهد هذا الأمير نفسه التعليم العالي ثم تتابع تأسيس المدارس الدينية والعربية في جامو وكشمير فالمدارس الإسلامية العربية في جامو وكشمير كثير، منها الفيض العام، والكلية الحنيفية، والكلية السلفية، ومدرسة تعليم الإسلام ومدينة العلوم، ودار العلوم الرحيمية، ومدرسة دار العلوم الأزهرية لأهل السنة، ودار العلوم البلالية، ودار العلوم سواء السبيل، وجامعة البنات بسرينجر، سراج العلوم بـ"شوبيان" ودار العلوم خير الدارين، ودار العلوم الأنوارية، ومصباح العلوم، ودار العلوم الكرمانية، ودار العلوم المركزية الفاروقية، والمدرسة الإسلامية العربية الرحمانية، وما إلى ذلك، من المدارس والمراكز والمعاهد الأخرى المنتشرة في ربوع جامو وكشمير.

إن هذه المدارس والمعاهد والمراكز العلمية والكليات والجامعات العصرية الرسمية قد لعبت دوراً هاماً في تعليم أهالي جامو وكشمير وتربيتهم تربية دينية وتثقيفهم بالثقافات الإسلامية وتحليهم بحلي العلم والمعرفة وتعويدهم على مكارم الأخلاق وحسن المعاملات مع غيرهم عامة وخاصة في تطوير اللغة العربية وآدابها للجامعات المركزية الدينية الأربعة أثر قوي وعميق في ذلك.

1. الجامعة الإسلامية بديوبند.
2. جامعة ندوة العلماء بلكناؤ.
3. جامعة مظاهر العلوم بسهارنفور.
4. الجامعة الأشرفية بمباركفور.

لأن معظم علماء جامو وكشمير ودعاتهما المخلصين ومربيهما البارعين ووعاظهما الممتازين قد تخرجوا فيها اعترفوا من مناهلها العذبة الصيافة وتعلموا اللغة العربية الفصحى وآدابها ونشروا في كل ناحية من نواحي جامو وكشمير وأرجائهما.

فبفضل الله أولاً ثم بفضل جهود هؤلاء العلماء المكثفة الطائلة المثالية وفضل هذه المدارس والمعاهد والمراكز العلمية الدينية تكونت فيهما مجتمعات دينية إسلامية عرفت اللغة العربية الفصحى وآدابها واطلعت على قيمتها وأهميتها البالغتين وعرفت بأن اللغة العربية أساس هذه الأمة الإسلامية ومرآة حضارتها وهي لغة كتاب الله العظيم ولغة رسوله الكريم وقومه العرب ولغة أهل الجنة، وأن فهم الدين كله يتوقف على فهمها فهي جزء لا ينفك عن حقيقة الدين وقد صدق شيخ الإسلام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى إذ قال

" إن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتهما فرض واجب وإن فهم الكتاب والسنة فرض لا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب به فهو واجب".

وتكونت فيهما بيئة أدبية عامة فيها رغبة شديدة في تعلم اللغة العربية وشرق متزايد وميل وإقبال بالغان إلى المهارة

---

[5] تاريخ دوغره ديس الجزء الثالث ص712.

Scanned with CamScanner

والبراعة فيها حتى لا يوجد طالب ولا طالبة في المدارس الدينية والجامعات العصرية إلا وهو مشتاق أشد الاشتياق إليها مع أن أهالي جامو وكشمير قبل تأسيسها كانوا جاهلين عن وجوبها وقيمتها وفضلها وأهميتها وفي غفلة تامة عن تعلمها حتى ما كان فيهم أفراد يجيدون اللغة العربية و يوجد في جامو و كشمير عدد ملحوظ وملموس من الخريجين الجامعيين الذين حصلوا على شهادات الماجستير واللسان والدكتوراه حتى يمكننا أن نقول أن كل ما يوجد اليوم من آثار اللغة العربية الفصيحة وآدابها في كل ناحية وبقعة من نواحيها وبقاعها يرجع الفضل فيها إلى هذه المدارس الدينية والجامعات العصرية الرسمية والى مؤسسيها المخلصين والعلماء والدعاة الممتازين .

وكذلك أسهمت هذه المدارس والمراكز الدينية والعصرية وعلماؤها وفضلاؤها في تطوير اللغة العربية وآدابها إسهاماً مثالياً لا نظير له بفضل الله عز وجل ومنه وكرمه.

أما العلماء والفضلاء الذين كان لهم دور كبير وفعال في تطوير اللغة العربية الفصيحة فعددهم كثير أمثال الشيخ يعقوب الصرفي، الشيخ حبيب الله الحنّي النوشهري، الشيخ معين الدين النقشبندي الكشميري، ملاّ طيب، ملاّ نازك، مولانا عبد الرشيد الشوبياني الكشميري، العلامة أنور شاه الكشميري، مولانا ميرك شاه الأندرابي، الميرواعظ مولانا يوسف شاه ، مولانا قاسم شاه البخاري، مولانا محمد أمين الواجدي.

ونكتفي بذكر أبرزهم و أشهرهم وأكثرهم ثروة أدبية خوفاً من التطويل:

الدكتور القاضي عبد الرشيد الندوي:

ولد الدكتور القاضي عبد الرشيد النووي في قرية ننجالي بمدينة بونج الواقعة على الحدود بين الهند وباكستان بولاية جامو وكشمير في 23 من يوليو عام 1970م وبدأ دراسته في جامو وكشمير ثم التحق بجامعة ندوة العلماء لكناؤ، عام 1984م وبعد التخرج فيها التحق بالجامعة الملية الإسلامية في سنة 1992م وبدأت تظهر سمات ذكائه المتوقد لدى مدرسي وأساتذة الجامعة الملية أمثال الشيخ البروفيسور ضياء الحسن الندوي رحمه الله تعالى رئيس قسم اللغة العربية آنذاك، والبروفيسور رفيع العماد وغيرهم ومن حسن حظه ودعاء والدته ونتيجة لذكائه وموهبته بعد إكمال السنة الأولى من اللسانس حظي فرصة ذهبية للدراسة في أعرق جامعات الهند جامعة جواهر لال نهرو كما تم ترشيحه للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فالتحق بها في قسم الدعوة وأصول الدين وظل ينبع من منابع المدينة الصافية النقية لمدة أربع سنوات مستفيداً ومستمتعاً بأجوائها العلمية والدينية والدعوية وتعمق في العلوم الإسلامية إلى جانب مواصلة نشاطاته الدعوية كما ظلت مشاركته مستمرة في عديد من الندوات والمؤتمرات والحفلات التي كانت تعقد في رحابها حتى حصل فيها على شهادة اللسانس بدرجة امتياز بسنة 1995م وعاد إلى الهند بحماس ديني ودعوي وفتح الكتاتيب لتدريس أولاد المسلمين في قرى وأرياف منطقة بونج بولاية جامو وكشمير حتى نجح في تأسيس عدة كتاتيب لتنوير الجيل الجديد بنور القرآن الكريم وترجمته إلى جانب أساسيات العلوم الإسلامية. ثم توجه إلى الجامعة الملية الإسلامية بالهند لإكمال الماجستير وأكمل الماجستير في 1998م ثم أكمل الدكتوراه.

أعماله:

1. الشيخ أبو الأعلى المودودي العبقري.
2. الاتجاهات الجديدة في الحركة الأدبية في دولة قطر.
3. المنهج الإسلامي للوسطية والاعتدال.
4. تأثير اللغة العربية في لغات الهند.

الدكتور عبد الرحمن وارث:

أبو الوارث عبد الرحمن وارث بن غلام محمد ولد سنة 1983م بسلام آباد بارهموله. تعلم الكتب الابتدائية على أبيه الفاضل ثم التحق بالكلية الشرقية وفاز في اختبار المولوي الفاضل بالدرجات العالية ثم التحق بالمدرسة العالية ثم حصل على شهادة بكالريوروس بجامعة كشمير. ثم التحق بجامعة كشمير وحاز شهادة الماجستير بدرجة الامتياز وحصل على شهادة الدكتوراه في الجامعة نفسها .

تدريسه: بعد الحصول على شهادة الدكتوراه عين محاضراً في قسم اللغة العربية للتعليم العالي بجامو وكشمير سنة

Scanned with CamScanner

1991م ولا يزال يقوم بخدمة التدريس وهو الآن رئيس قسم اللغة العربية بكلية أمر سنغ بسرينجر.
أشغاله غير التدريس: أسس الدكتور معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية قبل سنوات والآن هو رئيسه ورئيس اللجنة المركزية للشريعة بكشمير وإمام وخطيب في مسجد السيد جعفر صاحب صورة.
تأليفاته: له عدة كتب أهمها:

1. سؤال جبريل في حديث جبرئيل.
2. أسلوب الاختصارات في الحروف المقطعات في التفسير.
3. أقوال الحكمة عن نبي الرحمة في الحديث.
4. منطق الطير للأطفال المبتدئين.
5. له عدة مقالات وكتب للجرائد والمجلات باللغة العربية والأردية.
6. معجم كبير في المفردات القرآنية الموسوم بمعجم التأويل لألفاظ التنزيل الذي يحتوي على عشرين مجلداً.

الدكتور محمد أيوب الندوي:

الدكتور محمد أيوب من مواليد جامو وكشمير في الهند عام 1965م وتخرج في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ وحصل على شهادتين للماجستير في الأدبين العربي والإنجليزي ثم نال درجة الدكتوراه في الأدب العربي والتحق مسلك التدريس في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية نيو دلهي وكذلك عمل بكلية التربية بزنجبار تنزانيا التابعة لجامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم أستاذاً مشاركاً هو الآن بروفيسور في الجامعة الملية نيو دهلي ويدرس الأدب العربي الحديث والترجمة وله عدة مؤلفات منها:" الصحافة الإسلامية في الهند "و"محمد الحسني حياته وآثاره" و"الشعر والشعراء في الأدب العربي الحديث" و" المجتمع الإسلامي نباؤه وملامحه"و"العربية الأساسية في ثلاثة مجلدات" و"وفي أرض قديمة " (ترجمة لكتاب امتياب غوش)

حضر الدكتور محمد أيوب مؤتمرات وطنية ودولية وألقى فيها محاضرات في مختلف الموضوعات وهو واسع الدراسة والثقافة وكاتب وأديب بارع ومترجم قدير له مهارة فائقة ممتازة على أداء المعاني في أسلوب سهل ممتع جذاب رائع سائغ.

الدكتور محمد مظفر حسين الندوي:

محمد مظفر حسين بن شرف الدين ولد سنة 1383هـ في مديرية باندي فور بكشمير وبدأ تعليمه على والده الذي كان يدرس في مدرسة حكومية ودرس عليه الكتب الابتدائية ثم انتقل إلى سرينجر والتحق بكلية وحصل على شهادة المولوي الفاضل، في عام 1984م غادر الدكتور كشمير ورحل إلى لكناؤ بولاية أترابراديش الهند والتحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء لكناؤ بالهند، التي اشتهرت في الهند وخارجها بمناهجها الدراسية والتربوية ونهل من منهلها الصافي واستفاد من علمائها وأساتذتها وعلى رأسهم العلامة السيد أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى.

وبعد التخرج في دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ التحق بجامعة لكناؤ الرسمية بلكناؤ بالهند وحصل منها على شهادة الماجستير في اللغة العربية ثم رجع إلى وطنه كشمير والتحق بجامعة كشمير وحصل على شهادة الدكتوراه.

مساهمته في اللغة العربية: الدكتور محمد مظفر حسين الندوي من علماء كشمير البارزين الذين ساهموا في نشر اللغة العربية وآدابها وقاموا بخدمات ومآثر جميلة في مجال التأليف والتصنيف والترجمة والبحث والتحقيق . مؤلفاته:

1. مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي في الجزئين.
2. أمائل كشمير.
3. كعب بن مالك.
4. قائمة مؤلفات الكشمامرة التي ورد ذكرها في الثقافة الإسلامية في الهند للعلامة السيد عبد الحي الحسني
5. التحقيق والتعليق على الجزء الثاني من زبدة التفاسير للشيخ معين الدين النقشبندي

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

الأنواع القريبة من السيرة الذاتية

أبو معاذ الفلاحي[6]
amfalahi@gmail.com

مما لا شك فيه بأن السيرة الذاتية اصطلاح جديد يتم إطلاقه على جنس أدبي لم تعرف أصوله و قواعده إلا في القرن التاسع عشر . و الآن تعتبر السيرة الذاتية جنسا أدبيا مستقلا بمفهومه المعاصر، لا يتجاوزعمر مصطلحه قرنين و لكنها تعد جنسا أدبيا هاما في سلسلة التطور السردي. نجد كثير من الكتاب يخلطون السيرة الذاتية مع الأشكال و الأنواع القريبة منها ولا يكادون يدركون الفروق بينها و بين السيرة الذاتية. و لعل أبرز الأشكال و الأنواع التي تلتبس بالسيرة الذاتية هي الإعترافات, الذكريات، الرسم الذاتي، المذكرات، اليوميات، المفكرة اليومية، فإن من المستحسن أن أتحدث عن مدلول هذه الأنواع على حدة و أبين أوجه الفروق بينها و بين السيرة الذاتية.

الاعترافات - (Confession): هي نوع أدبي أقرب بفن السيرة الذاتية حتى يعتبرها بعض النقاد نوع من السيرة الذاتية. "يروي فيها المؤلف مواقف نفسية أو عاطفية لا يعترف بها واضعوا الترجمة الذاتية عادة"[7] لأنها تجارب أو أحداث لا يود المرء أن يطلع عليها أحد حتى أصدقاؤه المقربون و "تنبع قيمتها من كثافة الصراع داخل نفس صاحبها"[8]. والاعترافات تكتب أحياناً بأمانة في حين أنها تحوي في أحايين أخرى رسماً للصورة التي يود المرء أن تكون عليها الأجيال القادمة. "وقد تحولت الاعترافات من عنوان عادي استعمله القديس (أوغسطين) إلى فيضان لدى الكتاب الرومانسيين من بعد روسو[9]." قد استمرت الاعترافات بالظهور- "وبخاصة في الغرب مثل الاعترافات الخيالية المعروفة بالاعترافات الحقيقية، التي تنشرها صحف ومجلات الإثارة"[10]. و ظهر هذا النوع و نال رواجا في الغرب بسب ما اعتاده النصارى في ملتهم من الاعتراف أمام الكاهن أو القسيس للتنفيس عن الضمير و الرغبة في التطهير من السيئات والذنوب. ومن كتب الاعترافات الغربية: اعترافات جون نيوتون، وموجز حياة سويفت، والاعتذارات الفاضحة لبلكينجتن، وكونستانتيا فيليب، ومذكرات ليدي فان.[11] و تطورت السيرة الذاتية في المفهوم المعاصر في الأدب العربي الحديث " تحت تأثير ما قرأ أدباءنا و كتابنا للغربين من تراجم كاملة عن حياتهم، و قد وصفوا فيها من جميع أطرافها، بعيوبها و محاسنها، بل لقد تحولوا بها إلى اعترافات صريحة بدون أي تحرج أو تصنع"[12] . فنرى ميخائيل نعيمة و توفيق الحكيم يعترفان مثل اعترافات الغربين في سيرتهما سبعون و سجن العمر.

الذكريات - Memories: السيرة الذاتية و الذكريات قد يستخدم كمصطلحين مترادفين و لكن يمكن لنا أن نفرق بينهما من خلال ملاحظة عنايتهما بالشخصية و الأحداث الخارجية. فالذكريات تبرز شخصيات و أحداثا تقع خارج نطاق شخصية الكاتب و تجاربه الذاتية أما السيرة الذاتية بمعناها الدقيق فهي سرد متصل اتصالا زمنيا حدثيا لملابسات حياة كاتبها مع الإعتناء بتفسيره الذاتي لها" 13. و تكتب الذكريات على صورة استرجاع و تذكر و

---

[6] الباحث بجامعة جواهر لعل نهرو نيو دلهى، الهند.
[7] - مجدي وهبة: مصطلحات الأدب: ص 85 (مكتبة لبنان، لبنان- بيروت 1974 م.
[8] - dictionary of world literary terms: p 62
[9] - نفس المصدر السابق
[10] نفس المصدر السابق
[11] - د. يحيى عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ص، 17- 18
[12] - الترجمة الشخصية: ص، 6، 10

[13] - Dictionary of word: P. 23

Scanned with CamScanner

يهتم صاحبها بتصوير البيئة و المجتمع و المشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته و يصف كاتبها بأن عنايه وليست عنايته منصرفة إلى الأفكار والحالات الشعورية، لكنها منصرفة إلى المجتمع والشخصيات والمشاهد والأماكن. ولذا كانت الذكريات كثيرة الشيوع في أدبنا العربي، ويعلل لذلك الحيدري قائلاً: "إنه من النادر أن يحتفظ أحدنا بسجل دقيق لحياته حتى أصحاب الشأن منا، ولهذا نجد أن سير المحدثين من الأدباء بعد عقود من حدوثها – أي بعد دبيب الوهن في خلايا الذاكرة، بحكم تقدم السن."[14]

المذكرات -(Memoirs) : من الصعب أن نقوم بتمييز هذاالنوع من السيرة الذاتية و لكن يقول د. نبيل راغب "يجب أن نفرق بينهما على أساس استخدام كل منهما للشخصية والأحداث المحيطة بها. فالمذكرات تركز أساساً على الشخصيات والأحداث، في حين تلتزم شخصية الكاتب بالتسجيل والتوضيح لما يدور حولها، أما ما يدور داخلها فيظل في الظل. ولذلك تبدو بعض المذكرات وأنها تسجيل لأحداث تاريخية تصادف أن شهدها كاتبوها. أما السيرة الذاتية الحقيقية فعبارة عن سرد متماسك منطقي لحياة الكاتب، مع التركيز على التأملات والانطباعات ذات الابعاد المختلفة."[15]

ويشير عبد النور في معجمه إلى أن المذكرات "تختلف عن السيرة الذاتية بأنها تختص العصر وشؤونه بعناية كبرى"[16]. ويقول الأستاذ علي عبده بركات: "الفرق بين الشكلين يرجع إلى ما يحويه من كشف كاتبه عن ذاته في المذكرات، إلا أن الأولوية فيما يعرض الكاتب هي التي تحدد سمة العمل، أهي التركيز على دخيلة نفسه، أم على الأحداث الخارجية؟"[17].

فالمذكرات هي التي تعني فيها صاحبها بتصوير الأحداث والوقائع التاريخية أكثر من تصوير واقعه الذاتي أما كاتب السيرة الذاتية فبعكس ذلك تماماً. ومن الكتب التي جاءت تحمل هذا المصطلح في أدبنا العربي هي مذكرات الشيخ محمد عبده، ومذكرات أحمد شفيق باشا في نصف قرن، ومذكرات محمد كرد علي، ومذكرات عبد الله بن الحسين، ومذكرات المجالي، ومذكرات سعد زغلول، ومذكرات محمد فريد، ومذكرات محمد حسين هيكل، ومذكرات أنور السادات، ومذكرات النشاشيبي، ومذكرات الحاجة زينب الغزالي، وفي أدبنا السعودي: مذكرات طالب لحسن نصيف، ومذكرات خلال قزن من الأجداث لخليل الرواف.

اليوميات - (Dairy) : اليوميات سجل للتجربة اليومية "يكتبها صاحبها يوماً بيوم، ويدون فيها ملاحظاته بالنظام الذي وقعت به الأحداث التي شاهدها أو كما رويت له من شهود عيان، ويسجل كاتبها اتجاهاته إزاء الأحداث التي تتلاحق بسرعة متزايدة، ويرتبها ترتيباً زمنياً قد يكون متسلسلاً أو متقطعاً حسبما تيسر له: أما الدافع إلى كتابتها فيمكن في رغبة الإنسان في أن يسجل اتجاهاته الدائمة التغير في عصر تجري فيه الأحداث بسرعة متلاحقة.[18] وفي الوقت الذي يعد فيه بعض الباحثين اليوميات أكثر إمتاعاً وطرافة، وتكاملاً من الناحية الموضوعية، إذا ما قورنت بالرسائل التي تكتب في فترات متباعدة وتكون رداً على رسائل أخرى، "لأن اليوميات حرة طليقة من هذا القيد فتسجل أحداث الأيام بصغائرها ودقائقها كلها في فترات متقاربة، مما يسد كثيراً من الفجوات التي يحفرها الزمن في الرسائل. ولأنه غالباً ما تطبع اليوميات روح التحليل إلى جانب التسجيل، ولما فيها من عمق

---

[14]- عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الذاتية في الأدب السعودي:ص 42

[15]- نبيل راغب: دليل راغب : دليل الناقد الأدبي: ص 122

[16]-المعجم الأدبي:ص 264

[17]-اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية :ص 19

[18]- علي عبده بركات: رواد السيرة الذاتية من إفرنج و عرب :ص 162

Scanned with CamScanner

الإحساس بالزمان والمكان"19، في الوقت نفسه يرى آخرون اليوميات "أقل تماسكاً بحكم طبيعتها، وأقل اعتماداً على التأمل التحليلي للأحداث"20، و"أنها تفتقر إلى التطور الذي يحكي نموذجاً معيناً، أو التواصل القصصي والحركة الدرامية نحو ذروة ما، وأن ما تحققه من تواصل إنما يتم بصورة منقطعة وبدون تخطيط واع".[21]

أن الأصل في اليوميات ألاّ تكون للنشر و المؤلف قد ينشر يومياته الخاصة "إذا اشتملت على آراء خاصة أو وصف أحداث قد تهم الناس، فتفقد حينئذ خصوصيتها لأنها أضحت ملكاً للتاريخ، ويصطلح عليها بها بـ "يوميات" Diary[22]

ومن أشهر اليوميات في الأدب العالمي: (يوميات إيفيلين)، (يوميات صمويل)، (يوميات أندريه جيد، يوميات دانيل ديفو. أما في الأدب العربي فـ "يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم خير مثال لهذا النوع.

و الجدير بالذكر بأن العرب لم يعرفوا مصطلح يوميات بل عرفوا مصطلح "روزنامجه" إستعاروه من اللغة الفارسية. ويعد كتاب "الروزنامجه" للصاحب بن عباد (ت 385هـ) أقدم ما وصل إلينا من كتب تحمل هذا المصطلح. وهناك كتاب "الروزنامجتان" للباخرزي (ت 467هـ) الذي نشر مؤخراً تحت عنوان "يوميات أديب... نص في السيرة الأدبية من القرن الخامس الهجري".[23]

وقد وصف أحد النقاد هذا الكتاب بأنه "لون جديد يسجل للأدب العربي تاريخاً لهذا الفن الذي تطور فأصبح مذكرات أو سيرة ذاتية على ما نصطلح عليه اليوم."[24]

وقد توسع المحدثون كثيراً في استعمال اليوميات فأصبحت في عرف الصحف والمجلات: المقال الرئيسي في الجريدة يتناوب في كتابته المشاهير من الكتاب، ويتضمن فقرات أدبية واجتماعية وأحياناً سياسية بعيداً عن حياة الكاتب الخاصة ومشاهداته اليومية التي تسجل لحظة بلحظة كما هو المعنى الدقيق للمصطلح لدى المشتغلين بالسيرة الذاتية.[25] من ذلك يوميات العقاد التي بدأ بنشرها في 14 ديسمبر 1953 وجمعت فيما بعد تحت هذا العنوان، ومثل يوميات يوسف السباعي التي بدأت بيوم 12/أبريل 1959م[26].

فعرفنا بأن كثيرا من الكتاب يخلطون بعض الأنواع الأدبية مع السيرة الذاتية و هي أدت إلى إشكالية وصف دقيق مجمع للسيرة الذاتية. حيث يبدو الإلتباس الواسع في إستعمالها بصفتها مصطلحات تتناوب في الدلالة على بعضها أو في الدلالة على فن السيرة الذاتية. فيمكننا أن ننظر إلى هذه الأنواع قريبة من السيرة الذاتية و لكنها يختلف عنها بسبب بعض الفروق الجوهرية الموجودة وكما أشرت إليها في هذه المقالة و لا نجد حتى الآن أي كاتب أو ناقد أو دارس أو باحث يقول فن المذكرات أو فن اليوميات مع أن نقول جميعنا بلا ترد فن السيرة الذاتية.

19- عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الذاتية في الأدب السعودي:ص 45
20- نبيل راغب: دليل راغب : دليل الناقد الأدبي: ص 122
21- د. عبد العزيز شرف: أدب السيرة الذاتية : 44
22- مجدي وهبة: مصطلحات الأدب: ص 110 (مكتبة لبنان، لبنان- بيروت 1974 م.
23- عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الذاتية في الأدب السعودي:ص 47
24- سعيد الزبيدي: مقالة في جريدة الجمهورية العراقية، ص 7، 1409/12/4 الهجري
25- عبد الله الحيدري: السيرة الذاتية في الذاتية في الأدب السعودي:ص 48
26 علي عبده بركات: رواد السيرة الذاتية من إفرنج و عرب :ص 162

Scanned with CamScanner

الأبعاد الفكرية والفنية في "ظلمات وأشعة" لميّ زيادة

سيرت بتول[27]

كانت ماري الزيادة إحدى الشخصيات القليلات التي ملأت بذكرها المجالس الأدبية والنوادي الثقافية في العالم العربي الحديث فهي أديبة لبنانية الأصل والنشأة، مصرية الدار والإقامة. من أشهر الأدبيات العربيات.[1] اسمها الحقيقي "ماري إلياس زيادة". ولدت ميّ ونشأت في مدينة الناصرة بفلسطين عام 1886م مهد المسيح.[2] أحرزت مي الزيادة في مجال الأدب والنقد وهي تعد إحدى رواد في المقالة. إنّها برعت في الفنون المختلفة من الأدب العربي. إنّ مقالاتها حازت أهمية كبيرة من حيث الفكر والفن. فقد ترعرعت في بيئة علمية مزدخرة بالنقاش حول مواضيع حارة مثل القومية وحقوق المرأة وإجتماعية ونقدية. وكانت ميّ زيادة صاحبة صالون أدبي كبير اجتمع فيه أكابر الفن والفكر في عصرها. وكانت ترغب في الدفاع عن حقوق المرأة وتصرح عن آرائها بكل أمانة ورجاجة. غير أنّها كانت تؤمن في حرية الرأي غير جانحة إلى العصبية فيتجلى هذه المعالم في مقالاتها.[3]

ميّ زيادة كانت أديبة وشاعرة فلها مقالات إجتماعية وأدبية ونقدية، كما أنّها ساهمت في الترجمة من الآداب الغربية إلى اللغة العربية. كانت ميّ زيادة ذات مواهب أدبية فريدة، نمتّها بالمطالعة، وشحذتها بالتحليل والمقارنة، وقد وهبها الله ذوقا فنيّا مرهفا وعمقا ملحوظا في التفكير وإحساسا أدبيا بعيدا عن كل تطرف. لميّ زيادة جولات وصولات في كل مجال من الكتابة والخطابة. فمقالاتها ومباحثها وخطبها معروفة في عالم الأدب والفكر. نشرت ميّ مقالات وأبحاثا في الصحف والمجلات المصرية الشهيرة مثل المقطم، والأهرام، والزهور، والمحروسة، والمقتطف. وهكذا كانت ميّ زيادة ذات شخصية أدبية بارزة، وكان لها موقفها في علم الأدب وفي النقد الأدبي. وكان لها تأثيرها العميق في عالمي الفن والأدب، حتى قال عنها الدكتور زكي مبارك: "ومن المؤكد عندي أن هذه الفتاة متينة الثقافة إلى حد بعيد، وهي نموذج للفتاة المثقفة التي ينشدها أهل هذا الجيل. ومعرفتها بالأدب معرفة صحيحة، وهي من أجل ذلك تعدّ من نوادر المثقفات"[4]

أمّا مقالات ميّ زيادة فلها أهمية كبرى بحيث أنّ ميّ كانت ذات المام باللغات الأوروبية العديدة وقد ساعدتها هذه المعرفة في انتاج مقالات بميسم خاص.

كتب ميّ زيادة "ظلمات وأشعة" وهو مجموعة مقالات، نشرت في الهلال والمقتطف سنة 1922م. ويبدو فيه حرص ميّ على خلق مبتكر تترنح فيه الأفكار والمشاعر انطلاقا منن الطرق العادية. فمن عناوينها: أنا والطفل. بين عامين، كن سعيدا، بكاء الطفل. كتبت ميّ زيادة العديدة من الإسهامات الأدبية خلال رحلتها الفكرية، بيد أنها كرست الجانب الأكبر من حياتها لخدمة بنى جنسها من النساء وبعد كتاب "ظلمات وأشعة" أحد المؤلفات النسوية الرائدة التي ساهمت بها الكاتبة في النصف الأول من القرن العشرين. وهو عبارة عن مجموعة من المقالات الأدبية التي ألّفتها ميّ زيادة في موضوعات مختلفة بمناسبات عديدة. وتولّى ميّ في هذا الكتاب اهتماما كبيرا بقضايا المرأة الشرقية، فتركز على توعيه المرأة بممارسة حقوقها المجتمعية كحقها في الحياة الكريمة والحرية. كما تناقش الكاتبة كيفية مساهمة المرأة في العصر الحديث في التقديم الحضاري والاجتماعي والسياسي والثقافي في الشرق. كل ذلك نستعرضه الكاتبة بأسلوب بديع وأخاذ بعيد عن التكلف.

---

[27] باحثة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، بجامعة كشمير.

Scanned with CamScanner

فمقالتها الأولى "أنا والطفل"، تبدا بالتحدث عن نزهة قامت بها إلى حديقة والتقت بطفل إنكليزي دار بينه وبينهما ما يدور عادة بين كبير وصغير من ملاطفة وتودد، وبروح إنسانة رحيمة، تحدثه عن مساوئ الجندية ببداهة من تناسب توجيه الكلام إلى طفل، وتحدثه عن أنواع العواطف الساكنة في قلوب الناس وأيها ستكون من نصيبه، وتبين له بعد ذلك اختلاف دروب الحياة.

وفي مقالة "الساعة المفقودة" تفجع على طائرمات لديها فهي تثير الأفكار العميقة والمشاعر الرقيقة وتطرح أسئلة أساسية عن الموت والحياة، ومعطية خلاصة مذاهب عدة في تعليل البقاء والفناء قائلة:

"أضاعت نفسه الصغيرة الحلوة في الأثير، كما امتزجت تغاريد بأمواج الهواء وعناصر جسمه بالتراث والماء، أم هو بحفظ جوهراتيته، ويظل هو في مجاهل الفضاء"[6]

وفي مقالة "ليلة عيد النصر" حين يكون الناس آخذين بصنوف المرح، يستيقظ ألمها إزاء شيخة ليلة طردت من بيتها لأنها لم تدفع بدل الإيجار وكان أوجاع الكون كله تروع منها فتقول:

"أذوب واتضاؤل ثمّ أذوب حيال بحر الشقاء العام، حتى البث ذروة واحدة متوجعة متلهفة تتوق إلى التلاشي والنسيان".[7]

ولعلها كانت تشعر شعورا قويا بوحدة الوجود بحيث كان خيالها يعانق المرئيات وما رواءها فهي تقول "من ذرة الرمل إلى الشجرة المزهرة، إلى الهواء الملامس أفنانها، إلى طير سابحات تحت الغمام، إلى فتيت شموس تلبد في حضن المجرة، إلى أبعاد لا يدركها غير الخيال العظيم".[8]

وفي "ظلمات وأشعة" كتبت ميّ مقالتها "أن أيها الغريب" التي قالت عنها : "أنّها أعلق ما كتبت بروحي".[9] ووضعت كذلك "عند منعطف السبيل" وكلاهما موضوع وجداني وقد اختلف الرأي في أمر ملهم مناجاتها حيث كانت تفيض عن طريق الايماء، مبعدة جهدها عن التصريح ولعلها كانت تخاطب في الأولى جبران، وفي الثانية أحد الذين اجتمعت إليهم، قبل أن تقوى صلتها بجبران، إذ أنها تذكر في الثانية أمورا محسوسة لا يمكن أن تكون قد عنت بها جبران وهي لم تجتمع إليه مرة واحدة.

وفي المقالين تصوير دقيق، هو من الواقعية بمكان كبير، تقول مثلا: "لماذ كنت تتقن خطواتك إذ تعلم أني ارقبها، وتنغم نبرات صوتك وتنوعها إذ تعلم أنها وأصلة إليّ؟"[10] كما أنها تبدى عاطفة المرأة، يهيمن عليها أنكار الذات: "سأتصورك عليلا لا شفيك مصابا لا عزيك، مطرودا مزدولا لا كون لك وطنا وأهل وطن".[11]

كما أن مقالتها "كن سعيدا" تفتقر إلى الإنسجام المنطقي، حيث توجد للغنى والفقر للشاب والشيخ، وللرجل والمرأة، وللصحيح والسقيم وغيرهم، توجد أسبابا لسعادتهم، حين ذكرت سعادة الصحيح، فلوأنها اقتصرت على تذكير السقيم والشيخ ووضع الحب والمرأة بما يجعلهم سعداء، دون أن تعرض لهم افضلية الشاب والرجل والصحيح ورفيع الحسب، لجاء الموضوع أكثر تسلسلا فكريا. ثمّ أن الإخلاص في النبرة ينقص هذا الموضوع، ولعلها كانت تكتبه أملاء لنزعة الواجب الفتي الّذي همه خلق الحبور، لأنها لم تكن هي نفسها مقتنعة. بما تقول، فقد كانت هي امرأة وصحيحة وشابة، ومع ذلك كله لم يكن يلوح عليها أنها كانت سعيدة تلك السعادة التي دعت إليها.

"ظلمات وأشعة" تمثل جانبا كبيرا من نفسيتها وهي التعبير عن نظرتها إلى الحياة فلعلّها أدركت قيمة التفاؤل، وإن كانت بطبيعتها تجنح إلى اليأس والكآبة، حاولت استخراج الفرح من مشاكل الحياة والآمها بيدانها اكتشفت أن ألم الحياة ملازم لها دائما لأنّه "حيث تكون العاطفة مستيقظة مرهفة، فهناك النزاع الأليم والأشتهاد".[12] فمقالات ميّ مستيقظة بالمشاعر المرهفة حتى أنّ بعض مقالاتها الذاتية أقرب إلى الشعر المنثور. ومن أجمل ما كتبت مقالة تربى فيها عصفورها الّذي يؤنس وحدتها وإليك بعض الفقرات منها:

"طائر صغير احببته شهورا طوالا، غرد لكآبتي فاطربها، ناجي وحشتي فأنسها، غني لقلبي فارقصه".[13]

Scanned with CamScanner

الحقيقة أن ميّ زيادة بلغت أوج شهرتها في العشرينيات من القرن الماضي. ربّما يكون سبب شهرتها أسلوبها المتميز فقد كانت استحوذت على مللكة الأسلوب التي تشكل أدبها بالأدب الراقي. فهي تمتلك القلوب الذوقة. فينتسم القراء من مقالاتها السلاسة في التعبير والتضجع في التفكير، والأسلوب الجذّاب في معالجة الموضوعات التي طرقتها ولم تقلد به أحدا. وأسلوب ميّ زيادة هو أسلوب السلاسة والسهولة والوضوح، فلا تعقيد، ولا غموض، ولا ألفاظ غريبة، هو أسلوب الموسيقى ترافق الحروف والألفاظ، وكأنّما عباراتها موقّعة على أوتار قلبها واختلاجات وجدانها، وهو أيضا أسلوب المنطق والعلم في جوّ من العاطفة الصادقة والوجدان العميق.[14]

ويبدو أثر الثقافة الغربية في أسلوبها، وليس هذا غريبا، وهي التي أجادت من اللغات الأخرى، ما أتاح لها أن تكتب فيها شعرا، وقد علق أحد أساتذتها "ها مبورغ" على طرافة أسلوب ميّ كاتبة من الآداب الأوروبية، قائلا أن المرء يجد فيه "توازن الانكليزية ودعابتها ودقة الألمانية وأحكامها، ورشاقة الفرنسية وحيوية باقي اللغات اللاتينية.

والحق أن مساهمة ميّ زيادة في المقالة العربية تعتبر باهظة لأنها تناول موضوعات إجتماعية وفكريّة وسياسية وبمهارة فذّة. وكانت ذات مقدرة عالية في التعبير عن أفكارها ومشاعرها فاتسمت نصوصها بوضوح وجزالة ورشاقة فذّة، كما كان لغتها جرس وموسيقي عذب.

الهوامش و المراجع والمصادر

1. معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002م، كامل سلمان الجبوري، ص:481 الجزء الخامس، طبع دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
2. نساء سشهيرات، وداد سكاكيني طبع 1959م، دار المعارف،س الفاهرة، ص: 13
3. دود المرأة في إثراء اللغة العربية وآدابها عبر العصور، فرحانة صديقي، ص: 197
4. المؤجز في الأدب العربي، ص: 365، حنا الفاخوري، المجلد الرابع، الطعة الثالثة، طبع دار الجيل بيروت.
5. ظلمات وأشعة، ميّ زيادة، ص: 17، مؤسة نوفل، بيروت.
6. المرجع نفسه، ص: 27
7. المرجع نفسه، ص: 67
8. المرجع نفسه، ص67
9. المرجع نفسه، ص: 85
10. المرجع نفسه، ص: 99
11. المرجع نفسه، ص: 96
12. المرجع نفسه، ص: 34
13. المرجع نفسه، ص: 29
14. ميّ في حياتها وأدبها، جميل جبر، دار بيروت

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

الدكتورة عائشة عبد الرحمن
(بنت الشاطئ)

الدكتورة نور أفشاں[68]

هى الأستاذة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ من أشهر الكتاب العرب المعاصرين بل أبلغهم فى العكوف على الدراسات القرآنية و الإهتمام بها.ظهرت على الصعيد الأدبى كقصاصة نسوية و ناقدة أدبية و صحفية بارزة و هى فى الثلاثينات من عمرها. و لكن ذاع صيتها فى أنحاء العالم العربى و الإسلامى بما كتبت الأدبية العالمة فى الدراسات القرآنية و سيرة أهل البيت و خاصة عن أم النبى صلى الله عليه وسلم "السيدة أمنة بنت وهب". و لها عشرات من الدراسات حول أبى العلاء المعرى.

ولدت سنة 1913مـ فى الشاطئ النيل من فرع دمياط. والدها العارف بالله الشيخ محمد بن على بن عبد الرحمن من كبار العلماء الأزهر بدمياط، شريف ابن شريف ينتهى نسبه الى "الحسين بن على ابن أبى طالب". و أسرة الوالد تنتمى إلى "الشيخ المدمهوجى" من كبار علماء الأزهر و مشائخه. (1)

و تلقت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ العلوم العربية و الإسلامية على منهج الأزهر الشريف على يد والدها و زملائها الشيوخ من علماء الأزهر بالمعهد الدينى الأزهرى بدمياط. بدأت دراستها الجادة المنظمة فى عام 1918 مـ و هى فى الخامسة من عمرها عندما أدخلها والدها إلى كتاب الشيخ مرسى لحفظ القرآن الكريم و كانت قبل ذلك قد حفظت بعض الآيات و السور من القرآن الكريم. و عندما حصلت عائشة على شهادة الإبتدائية كانت قد جاوزت العاشرة التى حددها والدها لحجزها فى البيت ، و لكنها كرهت أن تبقى فى دارها بينما زميلاتها يواصلن تعليمهن فى المدرسة الراقية. خاصة و أنها كانت الأولى بين الناجحات،و وافق والدها بعد تردد مبدئى و بفضل وساطة جدها و أمها و بعض الشيوخ على إدخالها فى المدرسة العصرية حيث أتمت تعليمها بنجاح ثم حاولت الالتحاق بمدرسة المعلمات فى المنصورة حيث غامرت بالسفر إليها بتشجيع من أمها عندما كان والدها غائبا عن دمياط، و لكن والدها بعد عودته من السفر سحب كل أوراق التحاف بتلك المدرسة. و نهائيا نجحت فى الالتحاق بمدرسة طنطا و أدت امتحان شهادة الكفاءة للمعلمات، و بعد صعوبات شديدة و وساطات عديدة وافق الأب على أن تعمل مُدرِّسة للبنات بالمنصورة، و فى السنة التالية مباشرة تقدمت من المنزل إلى امتحان الكفاءة الثانوية رغم أنها كانت تقوم بتدريس أربع و ثلاثين حصة أسبوعيا، فأعجب مراقب تعليم البنات بأجوبتها فأمر بنقلها من وظيفتها كمعلمة إلى وظيفة كاتبة بكلية البنات بالجيزة.(2)

و حصلت على ليسانس فى الأداب عام1939 م و كانت رسالتها عن "الحياة الإنسانية لأبى العلاء"و بعد ثلاثة أعوام أى فى عام 1944 م حصلت على شهادة الدكتورة و كان موضوعها " دراسة نقدية لرسالة الغفران". (3)

و تدرجت فى المناصب الجامعية فكانت أستاذة كرسى اللغة العربية و آدابها بجامعة "عين شمس" سنة 1962م ، و استقرت استاذة التفسير و الدراسات العليا بكلية الشريعة جامعة القرونين سنة 1970 م. (4)

و تقول "الدكتورة عائشة بنت الشاطئ " عن تعليمها:

" تعلمت على منهج الأزهر فكان القرآن كتابى الأول و حتى الآن و اعتبره كنزى الأعلى و كان يدفعنى إلى العلم الوراثة ، حب العلم الذى كان يجرى فى دمى ، لقد كان أبى عالما فأحببت العلم ،و عندما وقف فى طريقى ليسلبنى ما ورثته عنه حاربته و انتصرت عليه ."(5)

---

[68] مديرة التحرير لمجلة التلميذ

Scanned with CamScanner

و من أساتذتها بالجامعة الأستاذ مصطفى عبد الرازق و الأستاذ أحمد لطفى السيد و طه حسين، و كانت قد أعدت رسالتها للدكتوراه تحت إشراف الدكتور طه حسين، و من اساتذتها أيضا المستشرق الألمانى الشهير (يوسف الشاخت) و تقول عنه: " شاخت كان أستاذا فى جامعتنا (الأزهر) يدرس لنا فقه اللغة و يرتدى ذى العلماء"(6)
و كذلك زوجها أمين الخولى من أساتذتها. كانت ترتبط به فتقول عنه:

"كنت أجد فيه الأستاذ و الموجه و الزميل و الصديق و أشعر نحوه بمثل ما يشعر به المريد نحو شيخه، و حين عز على أن استغنى على أستاذى تزوجته بعد تلك السنوات الطوال من التفاهم النفسى و التجاوب العقلى و الانسجام الروحى و حسى من زمانى أنى لقيته."(7)

كانت عائشة عبد الرحمن تحب أن تختار لها اسما مستعارا لـ كتابة، فاختارت لقب بنت الشاطى لأنها كانت ولدت و ترعرعت على شواطى "دمياط" فتقول فى زكرياتها:

"أمضيت صباى ألعب على شاطىء فرع دمياط. كنت أنزل فى الماء أنا و البنات و نصطاد السمك أو أصعد معهن على ظهر المواكب التجارية الاتية من الشام نسهر و نسمر أو نركب قاربا بشراع يزحف بنامع التيار إلى البحرالواسع عند رأس البر ثم نعود آخر النهار. عشت على الشاطى أهلى أيام عمرى، و تأثرت بالشاطى و بناسه و واقعه فأهملن لأمه. (8)

و تقول الأستاذة فرحانة الصديقى فى كتابها "دور المرأة فى اثراء اللغة العربية و آدابها عبر العصور " بالنسبة لاسمها المستعار بنت الشاطى: "إنها اتخذت هذا الاسم لتكتم هويتها من أبيها.(9)
من أجل هذا أطلقت على نفسها اسم بنت الشاطى. و قد بدأت حياتها الأدبية بكتابة أبحاث حرة عن الريف المصرى و عن قضية الفلاح.و نشرت هذه الأبحاث فى الأهرام عام 1939 م لأول مرة بتوقيع " بنت الشاطى" الذى عرفت و اشتهرت به بعد ذلك.(10)

كانت بنت الشاطى كاتبة و مفكرة و أستاذة و باحثة . لها مساهمة كبيرة فى الأدب العربى الحديث. فكتبت فى مجال التفسير و الدراسات القرآنية. فتعد أولى النساء المسلمات التى اسهمن فى هذا المجال فى العصر الحديث. فيقول الدكتور نذير احمد المجيد القاسمى:

" لعل الدكتورة بنت الشاطى ،أول مسلمة اسهمت فى نطاق التفسير الذى هو ضيق على رحبه و خطير على كونه سهل التناول ، و قد يكون لها فضل السبق على صواحبها ، كما يرى الأستاذ عيسى يوسف بلاظة و ذلك على رغم قولها : "إلا ما أعلم من مكانة جليلة كانت للمرأة المسلمة فى تاريخنا ، لا حجمت عن التقدم إلى هذا الميدان الجليل: اشفاقا من ان ينكر مكانى فيه."(11)

و تأثرت عائشة فى التوجيه الأدبى بوالدها الشيخ محمد على عبد الرحمن من علماء الأزهر الشريف فهو مهلمها الأول، و قد تلقت عليه و هى ناشئة علوم الدين و اللغة و الفقه و التفسير. (12) و بعد ذلك تأثرت بزوجها الأستاذ أمين الخولى حتى أن صار إماما لها فتسمى به "الإمام الخولى " و قد اكثرت الإعتزار بمنهجه فى التفسير الذى شرحه فى كتابه (مناهج تجديد فى النحو و البلاغة و التفسير و الأدب) و هو منهج التناول الأدبى الموضوعى الذى تعلمت منه ثم عنت به عناية دقيقة بالغة فى دراساتها القرآنية المنهجية و كانت لا تحسن الرأى فى الدراسات القرآنية المعاصرة لأنها غير المنهجية و يتصدى لها من ليسوا من أهلها كما تقول: و الدراسات القرآنية فى مجال العام ، تسير على غير منهج و يتصدى لها من المؤلفين من ليسوا أهلا لها ، و لم انس محاولة "الأستاذ مصطفى صادق الرافعى " رحمه الله ، فى اعجاز القرآن ، و عندما دعيت لأحاضر بجامعة دمشق فى يناير 1962 م أهدى الى "الأستاذ الدكتور محمد المبارك" عميد كلية الشريعة ، نسخة من كتابه "من منهل الأدب الخالد" و فيه محاولة موقفة لإستجلاء بعض الملاحظات البلاغية فى القرآن الكريم، لكن على غير منهجنا هذا فى التفسير البيانى ." (13)

Scanned with CamScanner

فقد أهدت هذه الكاتبة المبدعة الى المكتبة العربية زهاء أربعين كتابا و منها ستة كتب فى الدراسات القرآنية و من أهمها : "التفسير البيانى فى القرآن الكريم" و "الاعجاز البيانى للقرآن "و "مسائل ابن الأزرق " و "التفسير العصرى".

و لها فى الأدب آثار أدبية خالدة و بخاصة : "قيم جديدة للأدب العربى" و "لغتنا و الحياة" و نص الغفران" و "رسالة ابن الفارح"و "الغفران"و جديد الغفران" و " الحياة الإنسانية عند أبى العلاء " و "تراثنا بين ماض و حاضر" و " الشاعرة العربية المعاصرة" و " أبو العلاء المعرى" و " مدينة الإسلام" و " فى حياة أبى العلاء "و " الخنساء" و" أعداء البشر" و لها أعمال أدبية قصصية و رواية. منها : " على الجسر" و "أرض المعجزات" و " سيد الغربة " و "رجعة فرعون" و "صور من حياتهن"و " إمرأة خاطئة" و "سر الشاطى" و لها كتابان هى الدراسات الإجتماعية : " الزيف المصرى" و ثانيها " قضية الفلاح".

و مضت عائشة تكتب و تنتج محتفظة بشخصيتها و طابعها الخاص و هى ربة البيت و مع ذلك فانها ما زالت تحفظ للأدب أمانته.و يقدم أدب عائشة صورة الأنثى فى مختلف صوره لأنها ابنة بيئتها و نمت على طبيعتها. و القصص التى كتبتها هى مجموعة من الذكريات . و ترتكز على المأساة و الحزن و تصور نساء عرفتهن فى حياتها ، و فى معظم قصصها نحس بها و نرى شخصيتها فى أسلوبها.و يقول الناقد و الأديب أنورالجندى فى كتابه الشهير "الكتاب المعاصرون":

"سر جمال أسلوبها أنها حفظت القرآن فى صباها مما منحها هذا الوضوح و هذه البلاغة بالإضافة إلى البساطة و الأشراق الديباجة و الوفاء لأبويه يبدو فى أكثر من موضع فهى قد أهدت كتابها بطة كربلاء إلى والدها لأنها هو الذى هداها إلى هذا الانجاه."(14)

فكانت الدكتورة عائشة بنت الشاطى هى أديبة أصلية ذات أسلوب نسوى رقيق. قد ساهمت بنصيب وافر من الدراسات الإسلامية و الأدبية و النقدية. و كان لها نشاط ملموس فى الدراسات القرآنية مع نشاط فعال اللغة و الادب. و أنها قد اتخذت من قلمها سلاحا فاضلت به فى سبيل عقيدتها. و لها مكانة مرموقة بين الكاتبات و الأديبات فى العصر الحديث.

الهوامش و المراجع

1- موسوعة نساء و رجال من مصر- لمعى المطيعى، ص: 114-115
2- دور المرأة فى اثراء اللغة العربية و آدابها عبر العصور- لفرحانة صديقى ، ص: 229-230
3-المصدر السابق، ص: 231
4- رأى فى انتقادات حول د. عائشة بنت الشاطى و تفسيرها لكلمات من القرآن و آيات – للدكتور نذير أحمد، ص: 105
5- تراثنا بين ماض و حاضر- عائشة بنت الشاطى ، ص:53
6- المصدر السابق، ص:53
7- الكتاب المعاصرون- لأنور الجندى ، ص: 133
8-المحافظة و التجديد- لأنور الجندى ، ص :814
9- دور المرأة فى اثراء اللغة العربية و آدابها عبر العصور- لفرحانة صديقى ، ص: 228
10- المحافظة و التجديد- لأنور الجندى ، ص :810
11- رأى فى انتقادات حول د. عائشة بنت الشاطى و تفسيرها لكلمات من القرآن و آيات – للدكتور نذير أحمد، ص:106
12- ايضا ،ص: 106
13- التفسير البيانى فى القرآن الكريم- للدكتورة عائشة بنت الشاطى ، ص:17-18
14- الكتاب المعاصرون- لأنور الجندى ، ص: 130

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

أهمية التعليم في الإسلام

الدكتورعارف قاضي الندوي[69]
arifnadwi@gmail.com

إن الإسلام قد ركز من أول يومه على التعليم والتعلم حيث قدم الله سبحانه وتعالى العلم في نزول الوحي على سائر الأمور كلها، إذ ان من أول الآيات نزولا قوله تعالى "اقرا باسم ربك الذي خلق# خلق الانسان من علق# اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم #علم الإنسان ما لم يعلم#. فهذه الآيات المباركة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متحنث في غار حراء، تأمره بالقراءة وتبين له أن الله هو الذي علم الانسان ما لم يعلم. فكان أول عهده بالوحي مع هذه الآيات التي حددت نوعية القراءة باسم الله، وتكرر ذلك في الموضعين اللذين أمرا فيهما بالقراءة وهما " اقرا باسم ربك الذي خلق و اقرأ وربك الاكرم".

لم يكن تقديم العلم للعناية والاهتمام به فحسب، بل أيضا لما له من مكانة عظيمة لا تدانيها أي مكانة في الإصلاح والتغيير، إذ إن رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الإصلاحية كانت انطلاقتها أمرا بالقراءة وحثا على العلم والتعليم، ولذا فمن رام إصلاحا وتغييرا فليتخذ من العلم والتعليم بداية الانطلاقة نحو الإصلاح. فضلا عن ذلك فان الله خلق الخلق وهو عليم وخبير بما يصلحهم، وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وجعل مدخل ذلك العلم بوصفه الانطلاقة السليمة والبداية الضرورية للتغيير والإصلاح، وعلى قدر نشر العلم يكون الإصلاح. ولذلك ليس بمستغرب أن نعد العلم مقياسا للتنمية الإسلامية، ومؤشرا على الإصلاح، وعلامة على النهوض الحضاري، وهذا ما جعل للعلم مكانا عليا في الرسالة الخاتمة. ثم إن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الواردة في شأن العلم إنما هي تاكيد لما جاء في القرآن الكريم وتعضيد لعظمة مكانة العلم في الإسلام. من ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم[70]".

فإذا كان للعلم مكانة علية في تعاليم الإسلام، فلابد أن يكون للتعليم أيضا المكانة نفسها، إذ لا يمكن الفصل بين العلم والتعليم، فالعلم لا يكتسب إلا بالتعلم والتعليم، والتعليم ينعدم إذا لم يكن هناك علم، إذ العلم ما يكتسبه الفرد عن طريق التعلم، والتعليم نقل ما اكتسبه من العلم للآخرين. ولعل أفضل ما يوضح لينا مكانة التعليم أنه غاية الإسلام، فلا استمرار للإسلام وتعاليمه إلا بالتعليم والتعلم جيلا عن جيل، فضلا عن أن بيان مواضعه عند المسلمين خير شاهد على مكانة التعليم في الإسلام.

قصارى القول أن للتعليم مكانة عظيمة سببها أنه يمثل أسس الرسالة الخاتمة والغاية من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن في ذلك منة عظيمة من الله سبحانه على المؤمنين. ونظرا لما تبوأه التعليم من مكانة وسمو رتبة في الرسالة الخاتمة جعل المسلمين يهتمون بأمر التعليم والمحافظة عليه، وذلك بجعله عملية مستمرة من جيل الى آخر عبر التاريخ الإسلامي. هذا و لا شك أن التاريخ الإسلامي قد شهد تقدما علميا ورقيا وازدهارا نتيجة لتعاليم هذا الدين التي تحث على العلم والتعليم وتحرض عليهما، وترقى بهما الى مرتبة الفرض التي لا تعلوها أي مرتبة أخرى أو تدانيها.

إن الحضارة الإسلامية التي بلغت ذروة المجد في العصر العباسي، لم تنشأ من فراغ ولم تشيد من عبث، بل كان وراء ذلك كله عدة أسباب، أهمها على الاطلاق نشاط الحركة العلمية والتعليمية وانتشارها في العالم الإسلامي آنذاك نتيجة لما اولاه الإسلام من عناية بالعلم لا نجد لها نظيرا، حتى بلغ مبلغا عظيما. ولذا فليس بغريب أن يقترن تحضر الأمة الاسلامية ورقيها وازدهارها بالعلم، وما تركته من تراث خير شاهد على مدى مبلغها من العلم

---

[69] الأستاذ المساعد في قسم اللغةالعربية وآدابها، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أونتي بورة كشمير

[70] اخرجه ابن ماجه 224 وابن عبدالبر في جامع بيان العلم 1

Scanned with CamScanner

وما نتج عنه من تحضر ورقي. وبناء على ذلك، فمن الطبيعي أن يقترن تخلفها وتراجعها الحضاري بإهمال العلم والتعليم وعدم إعطائه الأولوية من أجل الخروج من هذا المأزق الحضاري.

إن تاريخ العلم والتعليم لدى المسلمين خير شاهد على ما بلغته هذه الحضارة من رقي وازدهار في هذين المجالين. لكن حاضر المسلمين يبدو وكأنه لا علاقة له بذلك الماضي التليد. إذ كان من المفروض أن النهضة العلمية الحديثة وما حققته من تطور هائل في مجالات متعددة تكون في حوزة العالم الإسلامي ومن إنتاجه، ولا تكون في حوزة العالم الغربي ولا من إنتاجه، إذ إنه يعيش حياة بعيدة كل البعد عن العلم قبيل نهضته الحديثة. إذن فمسألة نشوء العلم الحديث وما أحدثه من تطور هائل في عالم غير العالم الإسلامي الذي كان مؤهلا من الناحية العلمية اكثر من العالم الغربي، حيث إن حظه من العلم كان أوفر فهو أمر غريب جعل بعض الكتاب يرومون الإجابة عن هذه المسألة.

هذا أمر دعا "توبي هاف" لتأليف كتابه " فجر العلم الحديث" لتفسير سبب نشوء العلم الحديث في الغرب دون حضارتي الإسلام والصين، رغم أنهما كانتا في العصر الوسيط اكثر تقدما وتطورا من الناحية العلمية. ولكن صاحب هذا الكتاب أبدى بعضه المكشوف وحقده الدفين تجاه الإسلام، إذ جعل من تعاليمه سببا رئيسا في عدم نشوء العلم الحديث في العالم الإسلامي. وهذا أمر يخالفه فيه كل من التزم بالعدل المعرفي مع الموافق والمخالف من علماء الغرب أنفسهم. فنجد مثلا أن " بيرك" في كتابه القيم عندما يتغير العالم يعزو التقدم العلمي الى تعاليم الدين نفسه فيقول : والأهم من هذا كله أن الدين والثقافة تعايشا معا في تواؤم، فحيثما وجد الإسلام وجد معه التعطش الى المعرفة و تطبيقاتها على شتى مناحي الحياة. وأما في عصرنا الحاضر، فأن العالم الإسلامي يعيش أزمة تعليمية وتراجعا حضاريا، وهو أمر جعلنا نهتم بالحديث عن تنمية التعليم باعتباره سبيلا للخلاص من التراجع الحضاري، وفي المطالب الآتية بيان لذلك.

إن عملية التنمية التعليمية تحتاج أول ما تحتاج إلى نشر الروح العلمية الباعثة على النمو والتطور، ولكن قد يكون بعض أو كثير من افراد العالم الإسلامي من ذوي العلم ممن يحبون التعليم ويرغبون في تعليم الآخرين، إلا أن هذه الوضعية لا تحدث نهضة علمية، ومن باب أول لا تحقق شهودا حضاريا للأمة الإسلامية. والسبب في ذلك راجع الى كونها تنمية ينقصها الشمول، ومن خلال ما تقدم من كلام في التنمية تقرر أن العلمية التنموية لا تحقق أهدافها ولا تصل الى غاياتها إلا اذا كانت شاملة لأفراد العالم الإسلامي جميعا، ولا سيما التنمية العلمية والتعليمية، والتي عليها يتوقف نجاح تنمية العالم الإسلامي أو فشله. ونظرا لأهمية التنمية العلمية الشاملة، فإن المؤسسات التعليمية، بما فيها مراكز الدراسات والبحث العلمي، خليقة بأن تقوم بهذا الدور المهم في احداث تنمية علمية شاملة، بحيث اذا تضافرت جهود مختلف المؤسسات التعليمية على انشاء مراكز للدراسات والبحوث، وقامت هذه بدورها كما ينبغي، فلا شك أن عملا كهذا سيساهم في نشر الروح العلمية بين جميع أبناء العالم الإسلامي.

وليس المقصود بنشر الروح العلمية هنا أن يكون كل فرد في العالم الاسلامي منتيا الى طبقة العلماء فذلك تكليف بما لا يطاق اذ الناس يختلفون في ميولاتهم، ويتباينون في طاقاتهم ويتفاوتون في قدراتهم ولذلك لا يمكن مع هذا الاختلاف والتباين والتفاوت الذي فطروا عليه أن نغير ذلك ليكونوا رجلا واحدا عالما. ولكن المقصود بذلك أن تسعى هذه المؤسسات وتبذل جهدا لتجعل الروح العلمية سارية في كل فرد من افراد العالم الإسلامي، مما يشكل مجتمعات إسلامية تحب العلم وتحب العلماء، وتساعد على نشر التعليم، وإن لم يكن ذلك الفرد بعينه مشتغلا بالعلم والتعلميم ، ولكن تسري فيه الروح التعليمية التي تشيع بين أفراد الأمة الإسلامية وتنتشر بين فئات مجتمعاته المتنوعة.

Scanned with CamScanner

توضيحا لذلك اقول أن الروح التعليمية لا تنتشر في مجتمع ما الا اذا سرت في ثقافته وتناقلتها أجياله، جيلا عن جيل، وذلك لما للثقافة من سيطرة على السلوك الفردي والاجتماعي في أمة من الأمم. فالثقافة، كما عرفها الأستاذ " مالك بن نبي" رحمه الله هي العلاقة التى تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع، وبعبارة أخرى فإن الثقافة هي أسلوب حياة، الاسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه الى فلاحيه. ومن ثم فالثقافة بهذا المعنى مظهر اجتماعي عام، بحيث يشترك فيه افراد المجتمع جميعا، فاذا قلنا ثقافة مجتمع ما لذا وكذا، فيعني أن أفراده يشتركون في ذلك الأمر. وعليه، فيمكن القول إن الثقافة هي التي تعبر عن مستوى مجتمع ما او أمة ما، او هي المقياس الذي تقاس به الشعوب والمجتمعات والأمم، من حيث البدائية والتحضر، فيقال هذا مجتمع بدائي وذلك مجتمع متحضر، اعتمادا على ثقافته.وقال الأستاذ " فرحت الله خان" في مقاله القيم:

"Higher Education Issues and Challenges

Education plays a significant role in the life of a nation. The character and quality of the people greatly depend on the education that is imparted to them at different levels. Knowledge and wisdom have always been regarded as the highest virtues of man. Since, the origin of human civilization the path of enlightenment and truth has been advocated by saints and seers. It has enjoyed the sanctity of the holy texts and the sermons of those who have been treated with respect and held in high esteem by their disciples and followers. Multiple models of education and varied approaches to education have been emerging since antiquity. Although it is difficult to think of any consensus on this issue, efforts can be made to understand the various points of view in order to evolve a strategy in line with the commonly agreed objective of human welfare and its relevance to the needs of the changing times.

مهما يكن من شئ، فإن التنمية التعليمية المنبثقة عن انتشار الروح العلمية لا تحدث في فراغ، ولا تنشأ من لا شئ، بل لابد من عوامل مساعدة على ذلك، ولعل من أهمها، أو قيل أهمها، الثقافة المهيمنة على سلوك أفراد المجتمع وتصرفاتهم. وبعبارة أخرى، اذا سرت الروح العلمية في ثقافة أبناء العالم الإسلامي كلهم فقد زالت العقبات وأميطت العوائق أمام نشر العلم والعناية بالتعليم، بل تجد تشجيعا جماعيا من الناس كافة، ومساعدة من أفراد الأمة على اختلاف منازلهم وتباين طموحاتهم. وبناء على ذلك، فإن التوعية العلمية والتشويق الى التعلم وإنشاء المكتبات العمومية، من أهم الأمور التي تيسر نشر الروح العلمية بين أبناء الأمة الاسلامية.

لاشك أن النفس الانسانية تنشرح بعمل اذا اقترن بثواب، سواء أكان ماديا أو معنويا، وتحجم عن عمل لا ترجو منه ثوابا حتى لو أجبرت على ذلك اجبارا. وعليه، فقد يجبر الناس على التعلم، ويكون عليهم لزاما، ولكن ليس في الإمكان أن يجبروا على حب صوب العلم دفعا. وهذا التشويق، وهو المعبر عنه في الأدبيات الإسلامية بالترغيب، هو أسلوب قد استخدمته الشريعة الإسلامية في أمور العبادات، حتى في أشدها تجردا لله وأعني بذلك الجهاد في سبيل الله، حيث يلاحظ أن التكليف وما يترب عليه من أعمال صالحة قد اقترن به ترغيب وتشويق للمكلف بما ادخره الله له من نعيم معنوي ومادي. فاذا قمنا بنقل هذا المعنى الى مجال التعليم فنجد أن " الثواب ما زال من اكبر العوامل على التعلم، ويقصد به كل ما يعمل على تحقيق الرغبات وبلوغ الأماني ، فاذا أثبت المتعلم بذل في سبيل العلم جهدا كبيرا غير مبال بما يعترضه من مصاعب ومشاق" وذلك لتوفر دواعي ومرغبات في التعليم.

فإذا ثبت أن استخدام أسلوب الترغيب في التعليم يعد من أكبر الدوافع وأهمها على التعلم، فيكون حينها للمؤسسات التعليمية وسياستها تجاه المتعلمين ومؤسسات البحث العلمي ومراكز الدراسات أثر كبير ودور فعال في إحداث مثل هذا الأمر المهم. وليس التشويق للتعلم محصورا في الأمور المادية فحسب كما يظن الكثير، بل هو أمر

Scanned with CamScanner

أعم من ذلك وأوسع، إذ يعد ذاك جزءا من عملية التشويق لا يعول عليه كثيرا، لأن التشويق المادي إنما هو تشويق خارجي لعدم صدوره من طبيعة المتعلم ذاته ولا من قرارة نفسه، ومن ثم فهو معرض للزوال بزواله. ناهيك عن أن التشويق المادي إذا زاد عن حده انقلب من كونه وسيلة لترغيب المتعلم الى غاية يسعى إليها، وفي ذلك آذان بخراب التعليم وفساده فسادا كبيرا. يضاف الى ذلك أن التشويق المادي إذا أصبح غاية للمتعلم أفقد التعليم قيمته، بحيث تصبح جهوده ونشاطه التعليمي من أجل الحصول على الثواب المادي. وبناء على ذلك، فإن المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث والدراسات لابد أن تراعي هذا الأمر أثناء استخدام الترغيب المادي للمتعلمين.

وزيادة على ذلك، فإن هناك نوعا آخر من التشويق يمكن أن نطلق عليه التشويق الداخلي مقابل التشويق الخارجي، أو التشويق المعنوي مقابل التشويق المادي، والمتمثل في الترغيب النفسي للمتعلم. والمقصود بالتشويق الداخلي الى التعلم ما يكون نابعا من ذات المتعلم وصادرا عن رغبة نفسية داخلية للتعلم. ويتم تحقيق هذا النوع من التشويق من خلال الأفراد والجماعات، كما سلف بيان ذلك أثناء الحديث عن التوعية العلمية. فاذا تأكد لنا أهمية التشويق وأثره في نفسية المتعلم فيكون من واجبات المؤسسات التعليمية أن تقوم بهذا العمل المؤثر في التعليم، ولعل بث الروح الأخلاقية لدى المتعلمين وما يجب أن يتحلى به المتعلم المسلم صفات تكون خير باعث له على التعلم، من الأمور التي تساعد المؤسسات التعليمية على نشر الروح العلمية بين أبناء الأمة الإسلامية. وعلى الجملة، فإن أمام المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث والدراسات نوعين متلازمين من التشويق، أحدهما مادي (خارجي) والآخر معنوي (داخلي) تلازما بحيث لا يتصور انفكاكهما، وإن كان أحدهما أكبر نفعا من الآخر. والحاصل أن الترغيب في العلم والتعلم عن طريق التوعية العلمية وبث الروح الأخلاقية، من أعظم الأمور التي تسمو بالتعليم إلى أعلى درجات الرقي والازدهار.

تعرضت لبيان أهمية المكتبات في التنمية العلمية أثناء حديثي عن مواضع التعليم عند المسلمين بوصفها إحدى المواضع المهمة التي اعتنى بها المسلمون قديما وحديثا. وهذا الاهتمام بالمكتبات ناتج عن أهمية الكتاب في التعلم حتى في عصرنا الحاضر، رغم تطور الوسائل التقنية وتوفر العديد من الوسائل التي يمكن أن يستخدمها المتعلم، إلا أن الكتاب تبقى له الصدارة ضمن هذه الوسائل. ولذا، فليس بمستغرب أن تعتني الأمم المتحضرة بأمر المكتبة وتوفير الكتب لأبناء المجتمع، وتسهيل الاستفادة منها. ولقد أشار خير الدين التونسي الى هذا الأمر لدى لأمم الغربية بقوله" يقصد الدول الأوروبية بتوسيع دوائر العرفان، الذي هو أساس التمدن والتهذيب لنوع الإنسان، كثرة خزائن الكتب الجامعة لسائر الفنون، وتسهيل طرق الانتفاع بها بحسن الإدارة والترتيب الحاسم لمواد العوائق".

وبناء على ذلك، فإن على المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث والدراسات أن تبذل قصارى جهدها لإنشاء المكتبات التي تكون مفتوحة للمتعلمين والباحثين والدارسين، وأن توفر لهم من الكتب والمراجع ما يكون عونا لهم في دراساتهم وأبحاثهم، إذ الملاحظ أن كثيرا من المكتبات التابعة للجامعات في العالم الإسلامي تشكو من قلة الكتب والمراجع. ويضاف الى ذلك، أنه في حال توفر المرجع المطلوب تكون منه نسخة واحدة، فإذا أراد الباحث الاستعانة به لم يعثر عليه لأنه مستعار أو مقصود او موجود على حال يرثى لها. وهذا أمر يتعلق بمسألة تزويد المكتبات بالكتب المطلوبة وتوفير أكثر عدد ممكن من النسخ حتى لا تكون نسخة فريدة تتداولها أيدي الطلاب وكل يترك بها أثر مما يجعل عملية الرجوع إليها صعبة.

وهذا الأمر أعني به إنشاء المكتبات العمومية لا يتحقق طبعا إلا بوجود دعم مالي للمؤسسات التعليمية ومراكز البحوث والدراسات مما يمكنها من إنشاء ذلك وتعميمه. ولكن لابد أن تسعى هذه المؤسسات من أجل ذلك، وتطلب من المؤسسات الأخرى أو المسؤولة تمويل مثل هذه المشاريع النافعة، وأن تمدهم بخا يساعدهم على تحقيق هذا الغرض المقصود.

Scanned with CamScanner

النقد عندمصطفي صادق الرافعى
(1880 – 1937م)

الدكتور معراج الدين الندوي
merajnadvi@gmail.com

مصطفى صادق عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي كان الرافعى شخصية عصامية مثل العقاد، فقد كمل نفسه بالقراء ة الخاصة المتواصلة وان كانت قراءاته انحصرت فى الثقافة العربية وحدها واعتمد فيما صدر عنه من النقد الأدبي على الكتب الأدبية القديمة من مثل "البيان والتبيين" و "المثل السائر، اللهم إلا ما قد يكون اطلع عليه مترجماً للعربية، فهو لم يستفد إلا قليلاً من معرفته للفرنسية التى تلقاها بمدرسة المنصورة الأميرية حيث لم يقرأ فيها بعد تركه المدرسة إلا يسيراً ثم هجرها ولم يعد إليها.[71] ـ

وقد بدأ الرافعى إنتاجه الأدبى منذ سنة 1900م، ولكن كان أول ما كتبه فى النقد هو مقدمته للجزء الأول من ديوانه الذى أصدره سنة 1903م. ففى هذه المقدمة تحدث عن معانى الشعر وفنونه ومذاهبه وأوليته، و عرف الشعر فى بعض المواضع تعريفات غامضة لايستطيع الأمرء أن يقف منها على شئ من حقيقته. وقوله فى تعريف الشعر: "ولوكان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه، والرأس عشه، والقلب روضته، ولكان غنائه مانسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء، وحسبك بكلام تنصرف إليه كل جارحة، وتضم عليه كل جانحة، ويجنى من كل شئ، حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس".[72] ـ هذا ولايمكن لأحد أن يفهم من هذا التعريف شيئاً واضحاً عن الشعر، فما هذه الطيور والعشاش والنحل والثمرات وشفاء الناس مما يخرج من بطونها؟

وأما فى نقد الشعر فقد حدد مقياسه بقوله:

"وأما ميزانه فاعمد إلى ماتريد نقده، فرده إلى النثر فإن استطعت حذف شئ منه لا ينقص من معناه أو كان فى نثره أكمل منه منظوماً فذلك شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة فى قالب واحد من الإجادة وتلك مقلدات الشعراء .[73] ـ

على أننا نفهم من سياق عبارته أنه يريد بهذه الجودة أو الردائة ا لنظر إليها من الناحية اللفظية فحسب، وهو على ذلك يجنح للنقد الفقهى ويدعوا إليه. أما الجزء الثالث لديوان الرافعى وقد صدر سنة 1906م فقد كتب مقدمته تحت عنوان "نوع من نقد الشعر" وفيها جملة من النظريات الصائبة التى تعد أسساً من أسس هذا النقد الأدبى الحديث، منها أنه يدعو النظر إلى جوهر الشعر وروحه، لا إلى قشوره وظواهره، ومنها أنه يدعو للنظرة الشاملة عند الشعراء، فيريد الشعر أن يكون تصوير عالم حى من المعانى والألفاظ.

ثم يذم الشعر المتكلف الذى يفرض فيه الفكر على الإرادة، والارادة على العاطفة، فلا تصدق العاطفة، ولاتخلو من الغلو، ويذم كذلك التكلف الذى يأتى من عبادة الأوزان وتقليد القدماء فى صورهم ومعانيهم، وللقدماء وجه عذر فى ذلك ليس للمحدثين، وليست الحضارة كالبداوة، وإنما على المحدثين أن يضيفوا للقديم ويحسنوه.

ويحدد الرافعى المثل الأعلى للأسلوب الجيد البليغ بأسلوب القرآن الكريم وأسلوب الحديث الشريف شارحاً ذلك بأن من أسلوب القرآن الذى يتحدى به، ما يجئ فى بعض آياته من تكرار المعنى مع الاختلاف فى طرق الأداء كالذى يكون فى بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد وبسط الموعظة وتثبيت الحجة ونوعها، أو فى بعض

---

[71] حياة الرافعي ، لـ محمد سعيد العريان صـ 19
[72] مقدمة الجزء الأول من ديوان الرافعي، صـ 3 - 9
[73] أيضا صـ

Scanned with CamScanner

عباراته لتحقيق النعمة وترديد المنة والتذكير بالنعم واقتضاء شكره، إلى مايكون فى هذا الباب [74]ـ وكذلك من اعجازه تناسب آياته فى النظم والطريقة، مع اختلاف المعانى وتباين الأغراض، فكأنه قطعة واحدة من غير تفاوت فى علو أسلوبه وإجادته .[75]ـ وكأن آياته من قوة حياته نفس كلامية فى الكلام.

وقد لاحظنا أن نقد الرافعى ينصب على الناحية اللفظية، ولذلك وجدناه يناقش استعارات الشاعر وتشبيهاته ومايجئ فى شعره من أنواع البديع الأخرى، مبيناً الجيد منها والردئ ثم يبنى على ذلك حكمه على الشاعر، وهذا مثل قوله عن امرئ القيس: "وبالجملة فإن امرأ القيس وسط بين شعراء التشبيه، وإن كان قد اكثر منه واحتذى فيه فعل أبى داؤد و المهلهل وغيرهما، إلا أن له طرقاً فى التشبيه هى مبتكراته، وهى كل مافى يدنا من الأدلة على براعة وحسن تصرفه ورجحانه على غيره من متميزى الشعراء".[76]ـ

وكذالك ينتقد الرافعى المعانى والألفاظ من ناحية مستوى تأليفها والابتكار فيها، وينتقد التكرار القبيح فى الألفاظ والمعانى تفريقه فى قصائد الشاعر، كما ينتقد اضطراب القوافى وثقل الألفاظ، وقد لاحظ كل ذلك عند امرئ القيس و وجدناه يتجاوز عن غريب شعراء الجاهلية لأنه يعتبره مألوفاً وليس غريباً عند أهله. والحق ان حملة بعض المعاصرين على الأدب الجاهلى من ناحية الغرابة ليست حملة صائبة.

والنقد الصحيح عندالرافعى ليس هو مدح الكاتب والكتاب أو الشاعر والشعر وإنما هو بيان قيمة الكتاب ومافيه من صواب وخطأ اولاً ثم وصف الكتاب بما ينتجه البحث بعد ذلك. وكان الرافعى قاسياً حين يتعرض لأحد معاصريه فى رسائله لأبى ريه وهو كثيراً ما يتعرض لهم، وقد أشار أبوريه لهذه القسوة بقوله:

"وقبل أن أضع القلم أذكر أمراً لابد من الاشارة اليه، ذلك أنه قد ينبعث من بعض هذه الرسائل دخان خفيف مما كان قد شجر بين الرافعى رحمه الله وبين بعض كتابنا المعاصرين. وقد نازعتنى نفسى بين تبديد هذا الدخان أو تركه ولكنى آثرت تخفيفه بحذف بعض كلمات وعبارات اشتد فيها قلم الرافعى".[77]ـ

و نجد كثيرا من الخصومات الأدبية بين الأستاذ الرافعي و بين أدباء عصره،وظهرت من أثرها كثرة أعدائه،فهناك خصومة بينه و بين الأستاذ طه حسين حول كتاب " رسائل الأحزان"ظهرت في سنة 1924م[78] . و كذلك هناك خصومة بينه و بين الأستاذ عباس محمود العقاد ، و ثالثة بينه و بين عبد الله عفيفي إلى غير ذلك من معارك و خصومات أدبية .

و يناسب هنا أن نذكر أول نقد صدر منه في تلك الخصومات هو مقالة "شعراءالعصر" الذي قام بنشره في يناير من سنة 1905 مـ ، في مجلة الثريا،وقدناقش فيه حول تريب الشعراء طبقات و درجات،وكتب رأيه في كل شاعر ،مقتبسا من شعره و مستشهدا به على ترتيبه في طبقته،و قسم فيه شعراء عصره إلى ثلاث طبقات وقام بوضع نفسه في الطبقة الأولى و وضع معه فيها محمود سامي البارودي و الشاعر العراقي عبد المحسن الكاظمي و حافظ ابراهيم .و ممن وضعهم في الطبقة الثانية جعل فيها أحد عشر شاعراً،وصدّرها بإسماعيل صبري ثم أحمد شوقي ثم خليل مطران،ثم داود عمون، و محمدتوفيق البكري ،ونقولا رزق الله،و أمين الحداد،و محمود واصف ، و شكيب أرسلان،و محمد هلال إبراهيم،و ختمها بـ حفني ناصف. و ممن وضعهم في الطبقة الثالثة وهم ثمانية شعراء على رأسها مصطفى لطفي المنفلوطي، ثم أحمد الكاشف ، فأحمد محرم، فمحمد إمام العبد،فالعزبي،فأحمد نسيم،فالسيد أمين الطبطباني،وجعل في آخرها محمد النجفي[79].

---

[74] تاريخ آداب العرب لـ الرافعي، صـ 200 ، 345 ، 347

[75] أيضا صـ 209

[76] أيضا صـ 210

[77] رسائل الرافعي لـ الرافعي صـ 6

[78] حياة الرافعي ، لـ محمد سعيد العريان صـ 121 وما بعدها

[79] حياة الرافعي ، لـ محمد سعيد العريان صـ 38 وما بعدها

Scanned with CamScanner

ولكن الرافعي غير رأيه في هذا الترتيب فيما بعد،ومن ذلك اخلاف رأيه في أحمد شوقي إذ قال عنه بعد ذلك الترتيب: "أما في الشعر فهو حقيقة أشعر هؤلاء الموجودين بيننا ولكن لا يشرفه أنه أشعرهم"[80]

وقال عنه أيضًا: " أما أن شوقي أشعر من البارودي فهو الواقع لأن البارودي لا يزيد على قوة الأسلوب و فخامته ، و لكن الشعر في معاني شوقي و مواضيعه،والبارودي من هذه الناحية ضعيف جداً،و الفرق بينه و بين شوقي في هذا كالفرق بين زمن شوقي و زمن البارودي"[81]

ويجدر بنا أن نذكر كتاب الرافعى "تحت رأية القرآن" الذى أصدره سنة 1926م، والذى كان يستهدف فيه الرد على طه حسين فى كتابه"فى الشعر الجاهلى" وتناول فيه أيضاً مسألة القديم والجديد، هذا الكتاب كان قد نشر أكثره مقالات فى "كوكب الشرق" وبعضه فى "البيان" وبعضه فى "الجريدة" وكان أسلوبه فيه كسائر أسلوبه فى نقد معاصريه من فظاظة وقسوة وعدم عفة فى القلم .[82] ـ وربما بدا روح كتاب الرافعى واضحاً فى قوله عن الفئة التى ينتقدها وهو كذلك يهاجم من يؤذون استعمال الألفاظ العامية للمستخدمات، ويرون فى استعمال مفردات العامة وتراكيبها إحياء للغة الكلام وإلباسها لباس الفصاحة، وينادون برفع هذه اللغة إلى الاستعمال الكتابى، والنزول بالضرورى من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل، وهم يرون فى ذلك احياء للغة الرأى العام من ناحية وإرضاء للغة القرآن من ناحية أخرى.

ولابأس الآن من أن نشير إلى كتاب الرافعى "على السفود" الذى أصدره سنة 1930م نشير إليه لأن قسوة النقد فيه قد بلغت ذروتها، كما أنه يصور جانباً من المعركة بين العقاد والرافعى وهذا الكتاب كله فى نقد العقاد، قال فيه الرافعى: "وتظاهر العقاد باحتقار الأدباء، مع أنه فى نفسه يغلى حقداً وحسداً طريقة مسروقة يقلد فيها الكاتب الإنجليزى الشهير "برناردشو" الذى يقول إنه لايجد عقلاً يستحق احتقاره إلا عقل شكسبير!!! ولكن انظر الفرق بين الأصل والتقليد، برنارد شو يحتقر النوابغ من جهة عقليته فلا يحسد، والعقاد من جهة نفسيته فلايعقل، والأول يضع الآراء و يبتكرها والثانى يسرق ويدعى، وذلك يحتقر احتقاراً سامياً أساسه التظرف، وهذا دنئ دنئ أساسه الحسد ولؤم الطبع والعامية الثقيلة الآتية من الشوارع".[83] ـ

على أن أغلب نقد الرافعى فى هذا الكتاب نقد فقهى كنقده فى غيره إذ عنى فيه بالبيت الفرد وبنقد الصياغة والألفاظ، كما اهتم ببحث السرقات والخطأ الإملائى واللغوى والنحوى والصرفى والعروضى، واهتم باللفظ المبتذل، وفساد المعنى، وفساد الذوق إلى غير ذلك من نقد لايخلو من صواب لولا ماشابه من غلو وغرض مما جعله لايذكر للمنقود حسنة واحدة..[84] ـ

أما عن روحه فى النقد فقد كان الانتقام فيها واضحاً .[85] ـ وقد كانت هذه هى حاله مع كل من تعرض لنقدهم، وكان يتجنى على غيره لأتفه الأسباب، ولايقف عند نقده لغيره ولكنه يسعى إلى تحطيمه، وإن حدث أن مدح أحداً فلا بد أن يعود إليه بالهجاء، وهذا مافعله مع العقاد وطه حسين وزكى مبارك و عبدالله عفيفى وأمين الريحانى وسلامة موسى والبارودى والمنفلوطى ولطفى السيد وغيرهم وكان بوده أن يهدمهم جميعاً إذ قال:"إن كل ما أتمناه من زمن بعيد هو أن أتفرغ لمقالات فى النقد نحو ستين أو ثلاث تهدم العصر كله من جميع نواحيه الضعيفة وتبنى عليه أدباً جديداً فإن هذا العمل ينشئ جيلا قوياً جداً ويقضى على التدجيل الصحافى المتفشى الآن ويحدث فى الأدب واللغة نهضة تنبعث بالحياة".[86] ـ

---

[80] رسائل الرافعي ، صـ 82
[81] أيضا ، صـ 236
[82] تحت رأية القرآن لـ الرافعي ، صـ 6
[83] على السفود ، لـ الرافعي صـ 26
[84] أيضا ، صـ 7
[85] حياة الرافعي ، لـ محمد سعيد العريان ، صـ 127
[86] رسائل الرافعي ، لـ الرافعي ، صـ 219

Scanned with CamScanner

وكان الرافعي يندفع في تجريح من يبدو منه نقد له، من ذلك أنه لما أشار زكي مبارك إلى وجود رسائل غرامية في الأدب العربي، وأورد بعضها لأن الرافعي يقول إنه بكتابه "أوراق الورد" إنما يسد مكاناً خالياً في الأدب العربي من أول تاريخه إلى يوم صدور كتابه، عند ذلك كتب الرافعي عن زكي مبارك:

"ومن أجل هذا عزمت إن شاء الله على وضعه في السفود أو إتمام الجزء الثاني وسأبين غلطاته الهائلة في تصحيح زهر الآداب، لأن الرجل الآن مغرور جداً ولا يسقطه إلا ظهور هذه الأغلاط".[87]

ثم ظل الرافعي ينقده في رسائله له مدة شهرين. والخصومات الأدبية بين الرافعي وبين أدباء عصره كثيرة.

هذا، واكثر نقد الرافعي خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر نقد فقهي، وهو يتخذ فيه الأساليب القديمة أمثلة تحتذى والرافعي بذلك يمثل، لحدما بين نقاد العصر الحديث من يسمونهم أنصار القديم، وان كنا نلاحظ أن له مقاييس فنية كسائر االنقاد المجددين، بل كان أسبق منهم في بعض تلك المقاييس، ولكن الذي نلاحظه هو أنه كان لايسير غالباً على هذه المقاييس في نقده التطبيقي مما دعا للقول بأن نقده فقهي في جملته.

المراجع والمصادر

1 أحمد بدوي طبانة

التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ،بدون تاريخ.

1مصطفى صادق الرافعي

تاريخ آداب العرب، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة 1952 م

2 مصطفى صادق الرافعي

تحت راية القرآن مكتبة الاستقامة ، بالقاهرة 1963 م

3 مصطفى صادق الرافعي

رسائل الرافعي ،مكتبة الاستقامة ، بالقاهرة 1956 م

4 مصطفى صادق الرافعي

على السفود ، مكتبة الاستقامة ، بالقاهرة 1951 م

5 مصطفى صادق الرافعي

مقدمة الجزء الأول من ديوانه

6 د. محمد مندور

النقد و النقاد المعاصرون ، مطبعة نهضة مصر 1969 م

7 د. محمد زغلول سلام

النقد العربي الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية – بدون تاريخ

8 محمد مندور

محاضرات في الأدب و مذاهبه ، معهد الدراسات العربية العالمية بمصر 1955م

9 محمد عبد المغني

الأعلام من الشرق والغرب

10 محمد سعيد العريان<<<<<<<<<<< حياة الرافعي ،

[87] حياة الرافعي ، لـ محمد سعيد العريان ، صـ 38

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

الأسئلة التجزيئية للاختبار التنافسي[88]

Objective Questions for the competitive exams

س / من هو " شاعر النيل " ؟

ج / " شاعر النيل" لقب به الشاعر المصري الكبير حافظ إبراهيم كما لقب أيضا بشاعر الشعب .

س / من هو " أمير الشعراء " ؟

ج / "أمير الشعراء " لقب به الشاعر المصري الكبير أحمد شوقي.

س/ أين يقع النهر الأحمر ؟

ج / يقع في تركيا.

س / من هو المؤلف لكتاب "طوق الحمامة " ؟

ج / ابن حزام .

س / ما اسم أم هارون الرشيد ؟

ج / خيزران .

س/ ما اصغر مساحة في الوطن العربي ؟

ج / مملكة البحرين .

س /كم عدد المصاحف التي كتبت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ؟

ج / سبعه مصاحف.

س / من هو مؤلف كتاب معجم البلدان ؟

ج / ياقوت الحموي

س / من هو الصحابي الذي اسلم على يد ابي بكر الصديق ؟

ج / عثمان بن عفان.

س / في أي سورة من سور القرآن الحكيم ورد اسم امراة العزيز ؟

ج / في سورة يوسف.

س / من كان اول من انار المسجد ؟

ج / في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

س / من هو مؤلف قصيد ة "بلاد العرب اوطان من الشام ..... ؟

ج / هو الشاعر العربي إبراهيم طوقان

س / من هو الطبيب العربي الذي اقيم له تمثال في فرنسا ؟

ج / هو الإمام الرازي .

س / اين يقع جبل الطور الذي ورد ذكره في القرآن المجيد ؟

ج / بـ "سيناء" في مصر.

س / من كان اول حاكم مسلم للاندلس واين تقع اليوم ؟

ج / موسى بن نصير – في اسبانيا

[88] مأخوذة من كتاب "راند الاختبار لنجاح الأبرار" للمؤلف الدكتور معراج الدي الندوي

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

تعالوا نتعلم الحوار!

الدكتور معراج الدين الندوي

Mohammad Sibgatullah has been studying Arabic in Qatar University for a year. He invited two of his friends for lunch in a newly opened restaurant in Doha.

صبغة الله (للنَّادِلِ): نحْنُ ثلاثةٌ ونُريدُ أنْ نَتَغَدَّى.

النَّادِلُ: أهْلاً وسَهْلاً.

سعيد: هَلْ تَتَذكَّرُني؟ أكَلتُ هُنا في الأُسْبوع الماضي.

النَّادِلُ: آسفٌ يا سيّدي! ناسٌ كثيرونَ يأكلونَ هنا كُلَّ يَومٍ.

سعيد: كيفَ نَسيتَني؟ حَكيتُ مَعَكَ عَنْ الأكلِ والأسْعارِ والمَطعَم بِشَكْلٍ عامٍّ.

النَّادِلُ: كُلُّ الزَّبائِنِ يَسألونَ عَن هَذهِ الأشياءِ.

صبغة الله: اعطِنا طاوِلةً قريبَةً مِنْ الشُّبَّاكِ، مِنْ فضْلِكَ!

النَّادِلُ: تَفضَّلوا هُنا!

سعيد: هَلْ عِندَكَ طاولةٌ أخرى؟

النَّادِلُ: عِنْدي، ولكنَّها بَعيدةٌ عَنْ الشُّبَّاكِ.

جمال: طَيِّبْ، طَيِّبْ، هذهِ طاولةٌ مُمتازةٌ.

سعيد: مُمتازَةٌ! هذِهِ الطَّاوِلَةُ على الطَّريقِ.

جمال: اهدأ يا رَجُلُ!

سعيد: بِصَراحَةٍ، لا أحِبُّ أنْ أجْلُسَ على الطَّريقِ.

جمال: ماذا بِكَ اليَومَ؟

النَّادِلُ: يا أستاذُ تَفضَّلوا و اخْتاروا أيَّةَ طاوِلَةٍ. ليسَ عِندي أيُّ مانعٍ.

صبغة الله: تَفضَّلوا يا جَماعَةُ. دَعونا نَجلِسُ هُنا.

جمال: مَعقولٌ، هاتِ قائِمَةَ الطَّعامِ مِنْ فَضْلِكَ!

النَّادِلُ: تَفضَّلوا هَذِهِ قائمَةُ الطَّعامِ.

سعيد: أتَسْمَحُ أنْ تُحضِرَ لنا ماءً بارِداً!

جمال: نَعَمْ، ماءٌ بارِدٌ، رَحِمَ اللهُ والِدَيكَ!

النَّادِلُ: تَحتَ أمْرِكَ (يُحضِرُ الماءَ). تَفضَّلْ يا أستاذُ.

جمال: رائِعٌ، أنا أحِبُّ أنْ أطْلُبَ صَحْنَ اليَومِ.

النَّادِلُ: صَحْنُ اليومِ دَجاجٌ مَحْشِيٌّ.

Scanned with CamScanner

ISSN 2394 – 6628 Vol. 01 Issue 04

جمال: والسَّلَطَةُ؟

النَّادِلُ: خَسٌّ وطَماطِمُ أو خِيارٌ باللَّبَنِ.

جمال: عِندَكُم سَلَطَةٌ مِنْ نَوعٍ آخَرَ؟

النَّادِلُ: عِندَنا أيضاً سَلَطَةُ طَماطِمَ وبَصَلٍ وزَيتونٍ.

جمال: هاتِ لي دَجاجاً مَحْشيًّا وسَلَطَةَ خِيارٍ بِاللَّبَنِ.

النَّادِلُ: ماذا تُحِبُّ أنْ تَشْرَبَ؟

جَمال: هاتِ لي عَصيرَ بُرْتُقالٍ.

النَّادِلُ: حاضِرْ. وأنتَ يا أستاذُ، ماذا تُحِبُّ أنْ تأكُلَ؟

سعيد: أحِبُّ كوسَةً مَحشيَّةً وو"طبَق ماز"(اللحم المَحْشِيُّ الكشميري) و "غُوْشِتابا".

جمال: تُريدهُ أنْ يَتَذكَّرَ آخِرَ مَرَّةٍ!

صبغة الله: اسكُتْ يا جَمال، اللهُ يرضى عَنْكَ!

جمال: الحقيقة ، أنا تَعِبتُ مِنْ هذا الكَلامِ الفارِغِ. كُلَّما خَرَجَنا مَعاً يَخْتَلِقُ سعيد مِثلَ هذهِ القَصَصِ والمَواضيعِ السَّخيفَةِ.

صبغة الله: على مَهلِكَ، على مَهلِكَ، يا جمال! لا تَنْسَ إنَّنا إخوَةٌ!

جمال: الأخوَّةُ، على عَيني وعلى راسي، ولكنْ لِلصَّبرِ حُدودٌ! حَسبيَ اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ!

سعيد: هاتِ لي بَطاطِسَ أيضاً.

النَّادِلُ: كَيفَ تُحِبُّ البَطاطِسَ، مَقليَّةً أو مَشويَّةً؟

سعيد: مَقليَّةً، رَجاءً.

النَّادِلُ: أيَّةَ سَلَطَةٍ تُحِبُّ؟

سعيد: هَلْ عِندَكُم لَبَنٌ طازِجٌ؟

النَّادِلُ: أعتَقِدُ ذلِكَ.

سعيد: هاتِ لي لَبَناً طازِجاً، رَجاءً!

النَّادِلُ: ماذا تُحِبُّ أنْ تَشرَبَ؟

سعيد: هَلْ عِندَكُم نَبيذٌ أبْيضُ؟

النَّادِلُ: نَعَمْ عِندَنا نَبيذٌ أبْيضُ وأحْمَرُ.

سعيد: نَبيذٌ أبْيضُ، لو سَمَحتَ!

النَّادِلُ: حاضِرْ! وأنتَ يا أستاذُ، ماذا تُحِبُّ أن تأكُلَ؟

صبغة الله: هاتِ لي سَمَكاً مَشويًّا وسَلَطَةً.

النَّادِلُ: أيَّ نَوعٍ مِنْ السَّلطةِ تُفضِّلُ؟

Scanned with CamScanner

صبغة الله: سَلَطَةَ طَماطِمَ وبَصَلٍ وزَيتونٍ.

النَّادِلُ: ماذا تُحِبُّ أنْ تَشرَبَ؟

صبغة الله: دَعْني أُفَكِّرُ دقيقةً. عصيرٌ باردٌ، مِنْ فَضْلِكَ!

النَّادِلُ: حاضِرْ. هَلْ تَطلُبُ شيئاً آخَرَ؟

صبغة الله: هاتِ لنا تبُّولَةً وحِمّصاً.

النَّادِلُ: حاضِرْ!

صبغة الله: هَلْ يُمكِنُ أنْ تُعجِّلَ بالطَّلباتِ؟ عِندنا موعِدٌ السَّاعَةَ الثَّالِثَةَ.

النَّادِلُ: كُلُّ شَيءٍ سَيكونُ جاهِزاً بأقلَّ مِنْ ثُلثِ ساعَةٍ.

(يذهبُ النَّادِلُ لإحضارِ الطَّلباتِ بينما يَتحدَّثُ الأصدقاءُ)

(The waiter goes to bring the orders while they talk)

جمال: على فِكرَةٍ، هذا المَطْعَمُ مَعْروفٌ بالخِدْمَةِ المُمْتازَةِ السَّريعَةِ.

سعيد: هذا صَحيحٌ. الأكلُ لذيذٌ والخِدمَةُ مُمْتازَةٌ.

جمال: عِندَهُم مُشْكِلةٌ واحِدَةٌ.

سعيد: ما هيَ هَذهِ المَشْكِلَةُ؟

جمال: (ساخِراً) لا يَتذكَّرونَ الزُّبائِنَ!

صبغة الله: أُسْكُتْ يا جمال! أللهِ يَرضى عَنَّك!

جمال: في الواقِعِ، إنَّ هذا المطعَمَ مِنْ أحْسَنِ مَطاعِمِ الدَوْحَةِ.

صبغة الله: لهذا السَّبَبِ دعوتُكُم إليهِ.

سعيد: أنتَ كَريمٌ وصاحِبُ ذَوقٍ مُمْتازٍ، يا صبغة الله!

جمال: صبغة الله يَعرفُ كُلَّ المَحَلاَّتِ الجَيِّدَةِ.

صبغة الله: كَفى يا ناسُ، خَجَّلتُموني!

(يعودُ النَّادِلُ إلى الطَّاولةِ)

النَّادِلُ: تَفضَّلوا هذا هو النَّبيذُ والعصيرُ الباردُ وعَصيرُ البُرتقالِ.

صبغة الله: يا الله، دَعونا نَشْرَبُ نَخْبَ الصَّداقَةِ! في صِحَّتِكُمْ!

جمال وسعيد: في صِحَّتِكَ!

Scanned with CamScanner

رسائل الإخوان !

السلام عليكم ورحمة الله

نحن نرجوا ونأمل بأن مجلة التلميذ العربية الأدبية الشهرية والتي يتولى إصدارها ونشرها الإخوة الأعزة من ولاية كشمير الهندية ستلعب دورها المنشود في ربط المسلمين الكشميرين بإخوتهم العرب وستكون فاتحة خير وبركة للتبادل العلمي والأدبي والثقافي بين مهتمي وملمي اللغة العربية عبر العالم كما نرجوا بأنها ستواصل الدرب عبر شرح أوضاع أهل كشمير وربطهم بإخوتهم أهل لغة الضاد وهذه مهمة كنا ننتظرها منذ زمان حتى قامت هذه الفئة الطيبة الشابة من العلماء بمبادرة ورئاسة الأخ الأستاذ الدكتور معراج الدين الندوي الذي يتحلى بحلية العلم والفضل والمعرفة إلى جانب الغيرة البناءة في تثقيف المجتمع والشباب و إلى جانب سعي ربطهم بالعالم الخارجي وهذه لا يقيض لها إلا أصحاب العلم والفضل والغيرة ونحن إذ نثمن جهودهم الطيبة في إصدار هذه المجلة نرجو ان جهودهم ستثمر ثمارها وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وسنشاهد نتائجها المرجوة في المستقبل القريب وندعوا الله تبارك وتعالى دائما أن يحالفهم التوفيق والنجاح والسداد في المساعي والجهود التي يبذلونها والخطوات التي يتخذونها لتحقيق الأماني المخلصة الطيبة والأهداف السامية والله ولي التوفيق

أخوكم

الدكتور قاضي عبدالرشيد الندوي

الدوحة قطر

تحية طيبة وبعد،

لا يسعنا إلا أن نهنئكم ونشد على ما تقدمونه من خدمة إعلامية علمية وأدبية، عبر صفحات مجلتكم الموقرة(مجلة التلميذ) التي اطلعناه على مجلتكم الالكترونية. وبرأيي هذه المجلة من أفضل المجلات المهتمة في الفنون الأدبية. باختصار، تعد هذه المجلة نقلة نوعية في الإعلام الإلكتروني في المستوى العربي العالمي والإسلامي، وهي حقا مثار اعتزاز.. لذا أحببنا أن تكون لنا معكم مشاركاتنا العلمية والأدبية بهذا المجال إن أمكن لنا ذلك وتكرمتم علينا بالموافقة على هذه المشاركات التي نأمل أن تكون بشكل دوري...وهنا نود أن نستفسر من سعادتكم عن كيفية الحصول على هذا المجلة الثمينة.

شاكرين لكم جهودكم العظيمة.

واقبلوا منا كل احترام وفائق التقدير.

د. عايد راضي خنفر

جامعة الملك خالد – كلية العلوم

قسم علوم الحياة – ص.ب. 9004

أبها – 61413

المملكة العربية السعودية.

سعادة / السيد المدير العام الموقرلمجلة التلميذ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو من سعادتك أن ترسل لي عدداواحدا فقط من النسخة الورقية من مجلتكم المؤقرة إلي عنواني البريدي التالي:

عاطف محمد علي

SUDAPOST

ص. ب 11191

الخرطوم .بالسودان

الرمز البريدي 11111

رقم الهاتف : 00249903890960

ولكم فائق الشكر والتقدير

Scanned with CamScanner

The First Monthly Arabic Journal Since 2011

AL - TILMEEZ

May - June 2016, ISSN 2394 - 6628 Vol. 01 Issue 04

"إن الغرب لا يخشى الإسلام الطقوسي و الشعائري !! بل يخشون الإسلام الذي يدعو إلى العلم والعمل و التقدم الحضارة."

د. مصطفى محمود

تصدرعن مركز الثقافة الندوية بانته جوك سرينجر كشمير191101

Printed & Published by

Dr Meraj ud Din Nadvi on behalf Nadavic Cultural Center

Panth Chowk Srinagar Kashmir 191101 at Roshni Printing Press Srinagar.

www.arabicmasters.com .... merajnadvi@gmail.com 9622169299

Scanned with CamScanner